مراسلات أممية

الأوليغارشيات الحديثة والقديمة

- بريطانيا : تأسس حزب **Your Party** وينتظرنا عمل صعب
- **تونس : قابس ما بين التلوث و سياسات التهميش**
- فنزويلا : ضرورة مناهضة بروليتارية للإمبريالية

العدد 740 كانون الثاني/جانفي 2026

المحتويات

العدد 740 يناير/كانون الثاني 2026

الافتتاحية

آنا كارفالهايس — **الاستراتيجية الأمريكية، تهديد لشعوب العالم** — 3

تونس

اكسيل تونس — **خليج قابس بين التلوّث وسياسات التهميش** — 5

بريطانيا

سيمون هانا وتيري كونواي — **حزب Your Party تأسس! وينتظرنا عمل صعب** — 8

أمريكا اللاتينية

لويس بونيلا - مولينا — **فنزويلا: ضرورة بناء نزعة عمالية مناهضة للإمبريالية** — 11

خوسيه يويس هيرنانديز أيالا — **«جيل زد» وصعود اليمين المتطرف** — 14

سوريا

منيف ملحم — **التركة الأسدية بين يدي الشرع** — 16

اقتصاد

ديوغو ماتشادو وفرانسيسكو لوسا

الأوليغارشيات الحديثة والقديمة : التحوُّلات في نمط تراكم رأس المال — 21

أخبار أممية

الملتقيات الاشتراكية البيئية الأممية السابعة

في بروكسل من 15 إلى 17 مايو 2026 — 30

الكتب والفنون

اوراز أيدين

الثقافة والاستراتيجية : تروتسكي وكاوتسكي والحرية اللاسلطوية في الفن — 32

انوك إيساد

العبودية والرأسمالية : تاريخ ماركسي جديد — 36

مراسلات أممية

https://alomamia.org/

https://linktr.ee/alomamia

لكي يتنسى للمراسلات الأممية الاستمرار، عرفوا-ن بها! اشترك-ي الآن!

صوت أممي باللغة العربية

ببالغ السرور بتنا اليوم قادرين على إصدار مجلتنا مراسلات أممية باللغة العربية، شقيقة لـ انترناشونال فيوبونت الانجليزية وانبركور الفرنسية، يندرج هذا المشروع، الصادر بإشراف مكتب الأممية الرابعة، في استمرار لمختلف الإصدارات المنجزة باللغة العربية: المناضل-ة والخطوة [للاستكمال]. لكن الأحداث الجارية بالشرق الأوسط منذ سنة حدت بنا إلى الاهتداء إلى سبيل مجلة ذات استهداف دولي. تُبرز حرب الإبادة في فلسطين، متبوعةً بالهجمات على لبنان وقريباً على إيران، من قبل إسرائيل، الحاجة الملحة إلى رد فعل عالمي، نسعى إلى الإسهام فيه. كما يوضح تعاونُ الأنظمة العربية بالمنطقة البغيض مع الدولة الصهيونية ضرورة بناء بديل. لا سيما أننا نعلم بأن منع المظاهرات في جل البلدان الناطقة بالعربية يطابق خوفاً هائلاً من التعبئات التي من شأنها إعادة الوصل مع الربيع العربي وزعزعة تلك الدول، ومن ثمة السيطرة الإمبريالية.

يتمثل مشروع مراسلات أممية في الإسهام في بديل للإمبريالية - الأمريكية والأوروبية بالمقام الأول، لكن دون تنازل لسائر القوى الكبرى، الصين أو روسيا، التي تعارك كلها من أجل السيطرة على العالم، ولا للرأسمالية التي باتت أزمتها جلية عبر العواقب المدمرة للأزمات البيئية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية. تندرج معركتنا في حفز لنضالات المستغلين/ات والمضطهدين/ات، وبوجه خاص من أجل حقوق النساء ومجتمع الميم-عين، ومن أجل المساواة والتحرر، من أجل مجتمع اشتراكي ايكولوجي.

وليست مجلتنا بالطبع غير إسهام متواضع في هذا المشروع الثوري، لكننا نأمل أن يتيح نشر في الآن ذاته لمقالات تحليل للوضع في بلدان عديدة وللوضع العالمي، وسرداً للنضالات الاجتماعية ولعناصر توجه من أجل الفعل صوب المناضلين/ات الذين يستشعرون العزلة في بلدان تحكمها أنظمة مستبدة، قلنا نأمل أن يتيح شدَّ العضُد ومنحَ تماسك يتيح المساعدة على الفعل.

ستتقاسم مراسلات أممية، في وهلة أولى، مقالات مترجمة بجهودنا، منشورة عادة في انترناشيونال فيوبونت وانبركور، كي نقترح بسرعة مقالات تتناول بنحو خاص المنطقة الناطقة بالعربية. لذا عرّفوا بمراسلات دولية وبموقعها وبشبكاتها الاجتماعية، من أجل الإسهام في بناء صوت أممي اشتراكي ايكولوجي وثوري للقرن 21.

الاستراتيجية الأمريكية، تهديد لشعوب العالم

تنطوي استراتيجية ترامب بشأن الأمن القومي، المتسمة بصراحة بالتفوق العنصري والنزعة الاستعمارية والعنصرية وكره الأجانب، على تهديدات جديدة أو في حلة جديدة. إنها إمبريالية من الطراز القديم، جرى تكييفها لمواجهة التحديات الحالية للهيمنة الأمريكية.

بقلم: آنا كارفالهايس

لم يتفاجأ المهتمون بالوضع الدولي بالوثيقة التي نُشرت يوم 5 ديسمبر 2025. في نهاية المطاف، تعتمد إدارة ترامب الثانية على الأفكار التي حددها البيت الأبيض مؤخرا منذ نحو العام، في نوع من MAGA ماغا عالمي، مصمم لاستعادة الدور الذي كان للولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة. ولا يمكن أن نفترض أن كل ما يقوله قابل للتحقيق. ما يسعى إليه ترامب ليس ما سيحصل عليه. مهما يكن من أمر، معرفة أهدافه أمر مفيد واساسي في النضال ضد اليمين المتطرف الجديد والإمبريالية.

مخطط جديد

لم يخترع ترامب والملياردريات الذين يدعمونه عدم المساواة بين الأمم، و لا استغلال الأغنياء والأقوياء للآخرين. كان أسلافه إمبرياليين أيضاً. يتمثل الجديد في إقدامهم على انعطاف جذري في طريقة رؤيتهم للعالم وتصرفهم فيه - ويقولون ذلك بوضوح، معتبرين النسخ السابقة من الوثيقة ضعيفة وغير ملائمة. الهدف فرضُ نموذج جديد للاستغلال والقمع.

تحل المصالح الاقتصادية، ضمن هذه الاستراتيجية، محل أي مظهر من مظاهر السعي إلى "نشر الديمقراطية" عبر العالم. ويتضح ذلك بجلاء عندما تدافع عن احترام الأنظمة المختلفة عن نظامها (باستثناء تلك الموجودة في أوروبا). وتعتبر أن تفوقها التكنولوجي والطاقي يتطلب فتح جميع طرق

آنا كارفالهايس

آنا كارفالهايس هي مناضلة في البرازيل وعضو قيادة الأممية الرابعة

النقل وسلاسل الإمداد. وسيجري استخدام القوة العسكرية، مدعومة بالذكاء الاصطناعي والتكنولوجيا الذرية، لضمان الوصول الكامل إلى الموارد الأحفورية وغير الأحفورية، وكذلك المعادن الحرجة، أيا يكن الإقليم المعني. الاحتباس الحراري بنظرها أيديولوجية ضارة.

الدفاع بقوة عن مصالح الولايات المتحدة الاميركية

يكتسب نصف الكرة الغربي (أي أمريكا بشكل أساسي، بما في ذلك كندا وكل ما يقع جنوب نهر ريو غراندي) أولوية لم يكن يحظى بها منذ عقود. يكشف "استنتاج ترامب لمبدأ مونرو" أن الولايات المتحدة تريد "نصف كرة تتعاون حكوماته معنا ضد الإرهابيين المتاجرين بالمخدرات والكارتلات وغيرها من المنظمات الإجرامية العابرة للأوطان؛ نريد نصف كرة يظل خاليًا من كل توغل أجنبي معاد أو ملكية الأصول الرئيسية، ويدعم سلاسل التوريد الحيوية؛ ونريد ضمان استمرار وصولنا إلى المواقع الاستراتيجية الرئيسية" . السيادة التي يهتمون بها هي سيادتهم.

تجدر الإشارة إلى "ملكية الأصول الرئيسية". في الفصل الطويل الخاص برؤيتهم للصين الصاعدة وكيفية تعاملهم معها، من الواضح أن الأمر يتعلق بالتعامل التجاري مع التنين، ولكن مع المطالبة باستثمارات في الولايات المتحدة، وإعادة التوازن التجاري، ووضع حد لتوسع الشركات الصينية في البلدان منخفضة الدخل (أمريكا اللاتينية وأفريقيا وجنوب شرق آسيا). بالإضافة إلى ضمان هيمنة الولايات المتحدة على التكنولوجيا والموارد الحيوية من الطاقة والمعادن، يقترح النص منع هيمنة الصين على بحر الصين الجنوبي ومضيق تايوان – ويدعو بغية ذلك، إلى تسليح اليابان وكوريا الجنوبية وأستراليا، فضلاً عن تعزيز دور الهند بصفتها منافسا للصين في المنطقة.

عصر هيمنة جديد

فيما يتعلق بأوروبا الحليفة، هناك تشخيصات مستفزة، مثل "المحو الحضاري" (بسبب الهجرة و"ضعف" الحكومات) والنبرة الاحتقارية المستخدمة للتعامل مع التهديد الروسي للقارة، والذي يبخس النص شأنه. تطالب الاستراتيجية الشركاء العالميين، ولا سيما أوروبا، بتقاسم الإنفاق الأمني، وتنتقد الجزء الغربي من القارة العجوز بسبب هجماتها المزعومة على حرية التعبير، لا سيما فيما يتعلق بـ"الأحزاب الوطنية" التي ترحب بصعودها.

تعلن استراتيجية ترامب وصقوره نهاية العصر السابق، سواء على صعيد التعاون الاقتصادي أو الهجرة. لا تسمح إمبرياليته في حلة جديدة بأي حركة للعمالة، ما يحول الشغيلة غير البيض وغير المسيحيين إلى أعداء أساسيين للعصر الجديد. كما في هذه الحالة، تعيد الاستراتيجية صياغة المبادئ والأهداف والأدوات التي تستخدمها الولايات المتحدة ورأس المال منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. لقد بتنا نواجه هذا التغيير الهائل. ليس مؤكدا أن يبلغ ترامب واليمين المتطرف العالمي الجديد أهدافهما، لأن أفعالهما تفتح الباب أمام تناقضات جديدة وقوية. لكن الصراع الذي بدأ سيكون صعباً. ■

12 ديسمبر 2025

كاريكاتير عام 1903 يشير إلى مفاوضات معاهدة هيران-هاي حول حقوق الوصول إلى برزخ بانما.تشارلز غرين بوش / نيويورك وورلد / مجموعة غرانجر، نيويورك، ملكية عامة

خليج قابس بين التلوّث وسياسات التهميش

أُنشئ المجمع الكيميائي بمدينة قابس، جنوب شرق تونس، سنة 1972، بهدف تحويل الفوسفات الخام المستخرج من مناجم قفصة إلى منتجات كيميائية جاهزة للاستعمال الصناعي والزراعي، من بينها حمض الفوسفوريك، والأمونيت، وفوسفات الأمونيوم، والأسمدة من نوع «18 DAP-46».

بقلم: أكسيل تونس

ما تشهده ولاية قابس اليوم ليس حدثًا طارئًا أو مفاجئًا، بل هو نتيجة مباشرة لمسار طويل من النضال الذي خاضه سكان المنطقة دفاعًا عن حقهم في العيش في بيئة سليمة. وقد تعود أولى التحركات الاحتجاجية إلى سنة 2011، لا سيما في معتمدية غنوش، حيث يتمركز المجمع الكيميائي. وتعد هذه المنطقة من أكثر المناطق تضررًا جراء إلقاء مادة «الفوسفوجيبس»، التي يُقدَّر حجمها بنحو 14 ألف طن على أطراف المجمع، وهو ما جعل الشاطئ المجاور غير صالح للحياة، وأدى إلى تراكم هذه المادة الكيميائية إلى جانب العديد من المعادن الثقيلة، مثل البلاتين (وهو عنصر مشع)، والزئبق، والرصاص.

كما تُلقى آلاف الأطنان من أكاسيد الكبريت في أعماق البحر، ما يجعل مياه الشواطئ المجاورة شديدة الحموضة، ويحوّل رمالها إلى مادة طينية حمضية، الأمر الذي أدى إلى انقراض معظم أنواع الأسماك، وتراجع الأنواع الأخرى القادرة على مقاومة التلوث، التي اضطرت إلى الهجرة نحو مناطق أبعد عن المجمع.

وعلى مستوى الغلاف الجوي، تُطلق يوميًا آلاف الأطنان من ثاني أكسيد النيتروجين (NO_2)، وهو ما تسبب في ارتفاع ملحوظ في معدلات الإصابة بأمراض الجهاز التنفسي، ولا سيما السرطانات، فضلًا عن معاناة أغلب سكان المناطق المحيطة من أمراض هشاشة العظام.

إبراز الأضرار المرتبطة بالتلوّث

لهذه الأسباب، كان من بين المطالب الأساسية لسكان المنطقة إنشاء مستشفى جامعي، غير أن هذا المطلب قوبل بالرفض من قبل الحكومات المتعاقبة. وقد بلغت هذه المطالبة ذروتها سنة 2013، حين قدمت مجموعة من الخبراء المحليين سلسلة من الدراسات ومشروعًا يهدف إلى إعادة تدوير جزء من النفايات الكيميائية واستغلالها صناعيًا للحد من التلوث، وفقًا لما أكده معدّو المشروع. إلا أن صناع القرار لم يتعاملوا مع هذه المقترحات بالجدية المطلوبة، ولم تضع المؤسسات الرسمية حلولًا ملموسة.

وفي أكتوبر 2016، تصاعد الجدل عقب الإعلان عن وفاة عامل في مصنع الأمونيا بقابس، إثر اختناقه بالغازات، في حادثة نفت إدارة المصنع أن تكون ناجمة عن تسرب للأمونيا، غير أن الواقعة ظلت مؤشرًا واضحًا على هشاشة منظومة السلامة الصناعية بالمنطقة.

وفي سنة 2017، ووفقًا للأرشيفات المحلية، وقع انفجار غازي عند مدخل غنوش، ما أعاد إلى الواجهة مخاوف السكان من المخاطر المرتبطة بالأنشطة الصناعية الغازية.

غير أن الاحتجاجات شهدت منعطفًا حاسمًا في العام ذاته، حين تحولت من تحركات محدودة ذات طابع جمعياتي إلى حركة شعبية واسعة. فقد أدت سياسات التسويف والإهمال واللامبالاة إلى تعميق وعي السكان بضرورة النضال الجماعي من أجل بيئة نظيفة، وإلى ترسيخ قناعتهم بأن الكفاح هو السبيل الوحيد لتحسين أوضاعهم والاحتجاج على السلطة. وقد دفع ذلك حكومة يوسف الشاهد إلى فتح حوار مع الأهالي، والموافقة مبدئيًا على تفكيك المجمع الكيميائي سنة 2019.

أكسيل تونس
أكسيل تونس: عضو في الحركة الماركسية الثورية في تونس.

تُطلق يوميًا آلاف الأطنان من ثاني أكسيد النيتروجين (NO_2)، وهو ما تسبب في ارتفاع ملحوظ في معدلات الإصابة بأمراض الجهاز التنفسي، ولا سيما السرطانات

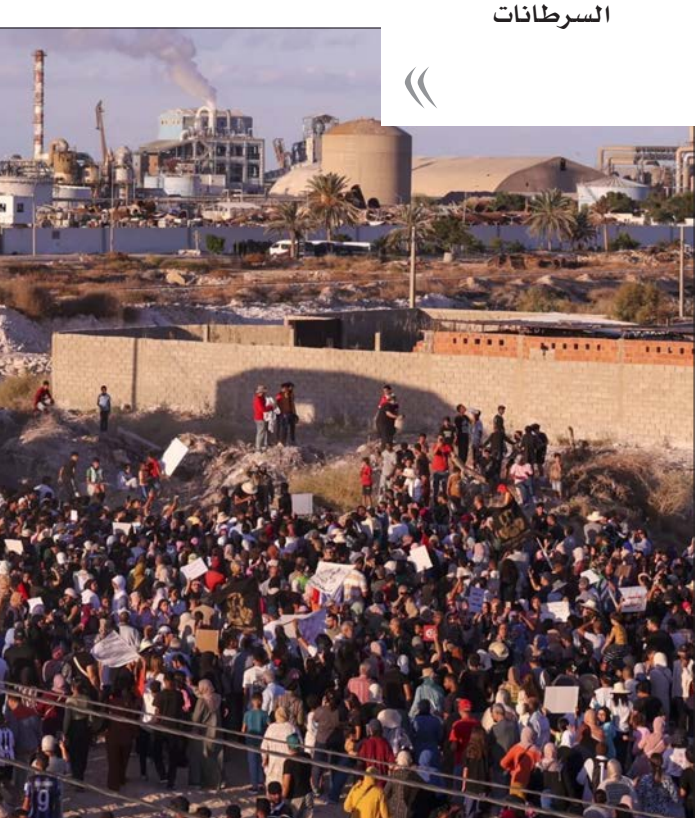

سلسلة من المآسي

في سنة 2019، اندلعت احتجاجات متكررة في غنوش بسبب «الغازات الخانقة» المنبعثة من وحدات المجمع، وفقًا للوثائق الميدانية ومقاطع الفيديو التي نشرها النشطاء، مع تسجيل حالات اختناق فردية.

وفي مارس 2020، تسبب حريق في مصنع الأمونيا داخل المجمع في إعادة فتح النقاش حول المخاطر الصحية للانبعاثات الصناعية.

وتواصلت في الفترة الممتدة بين 2021 و2024 الشكاوى بشأن الروائح الخانقة والانبعاثات في المناطق المحيطة بغنوش وبوشما وشط سالم، حيث أكدت تقارير صحفية ومنظمات مجتمع مدني التعرض المتكرر لغازات مهيجة للجهاز التنفسي، في ظل غياب معطيات رسمية دقيقة.

وفي سبتمبر 2025، وصفت وسائل الإعلام الارتفاع غير المسبوق في عدد حالات الاختناق بـ«شهر الاختناق» في قابس. وأشارت تقارير متطابقة إلى تسجيل عشرات الحالات في غنوش وشط سالم وبوشما خلال أيام متتالية، لا سيما في صفوف التلاميذ. ووفقًا لموقع Tunisie Numérique، تم توثيق 36 حالة في غضون يومين، في حين أفادت العين الإخبارية بنقل 50 شخصًا إلى المستشفى، مع تسجيل حالات أخرى متفرقة بمستشفى غنوش.

وفي 30 سبتمبر 2025، نُقل 14 تلميذًا إلى المستشفى إثر تسرب غاز سام من المجمع.

وفي 10 أكتوبر 2025، سُجلت عدة حالات اختناق في صفوف تلاميذ مدرسة شط سالم، نُقل العديد منهم إلى المستشفى، وتكررت الحوادث ذاتها في المؤسسة خلال الأسبوع نفسه.

بداية التمردات الجماهيرية

بين 10 و14 أكتوبر 2025، تصاعدت وتيرة الاحتجاجات، وتزايدت حالات الاختناق وصعوبات التنفس، حيث تجاوز عدد الحالات التي استوجبت رعاية طبية أو دخول المستشفى 120 حالة في مطلع أكتوبر، وفقًا لمصادر رسمية ومحلية.

وبين 16 و22 أكتوبر 2025، أدت موجة الاختناقات إلى اندلاع احتجاجات جماهيرية واسعة، تخللتها مواجهات مع قوات الأمن، وإضراب عام شلّ مدينة قابس. وقد وثقت وكالات دولية ارتفاع حالات التسمم وضيق التنفس الحاد، في حين أكدت التقارير تقادم تجهيزات المجمع وازدياد انبعاثات الأمونيا وثاني أكسيد النيتروجين.

وحظيت هذه التحركات بدعم مظاهرات نُظمت في العاصمة تونس يومي 18 و25 أكتوبر 2025، حيث تجمع مئات المواطنين، بمشاركة كثيفة من نشطاء البيئة وسياسيين من أحزاب يسارية، أمام الإدارة العامة للمجمع الكيميائي، دعمًا للحراك البيئي في قابس، وتنديدًا بسياسات الاعتقال والقمع وازدراء المطالب المشروعة لسكان المنطقة.

تضاعف الإنتاج في تجاهل صارخ لمعايير السلامة

وقد بدأت مطالب الأهالي بالمطالبة بتحسين ظروف العيش، ثم توسعت لتشمل احترام معايير السلامة، وإنشاء محطات لمعالجة الغازات والمياه الملوثة، وبناء منشآت صحية، فضلًا عن تنفيذ قرار إغلاق المجمع الصادر سنة 2019. غير أن هذا القرار، شأنه شأن القرارات التي تمس المصالح المالية، جرى التراجع عنه.

استمرار السياسات المدمّرة للبيئة

في ظل الحكومة الحالية، تضاعف الإنتاج في تجاهل صارخ لمعايير السلامة، كما تقرر إنشاء وحدة جديدة لإنتاج أسمدة «18-DAP-46» ذات الطلب العالمي المرتفع. ويعتبر سكان المنطقة هذا القرار استفزازًا وتهديدًا مباشرًا للبيئة، ليس

في قابس وحدها، بل في كامل الجهة، لا سيما في قطاعي الصيد البحري والزراعة، اللذين تراجعت عائداتهما نتيجة تقلص المساحات الصالحة وتدهور المردودية. وتهدف هذه الخيارات السياسية إلى تعظيم الإنتاج خلال سنة 2025، بما يسمح للدولة بتحصيل أكبر قدر ممكن من الموارد المالية لتسديد ديونها لصندوق النقد الدولي والمانحين الدوليين.

وقد تحولت المعركة البيئية في خليج قابس من قضية محلية إلى معركة شعبية، وهو ما جسده الإضراب العام المنظم يوم الثلاثاء 21 أكتوبر 2025، الذي شارك فيه فعليًا كامل سكان المنطقة، حيث خرج أكثر من 135 ألف مواطن في مسيرة احتجاجية، أي ما يعادل عدد سكان الجهة. ويعكس ذلك مستوى الوعي بخطورة الأزمة البيئية، وإدراك أن التلوث بلغ حدًا لا يمكن تجاهله.

ورغم تراجع نسبي في وتيرة التحركات خلال شهر نوفمبر، فإنها مرشحة للاستئناف، سواء عبر الإضراب العام الذي أعلن عنه الاتحاد العام التونسي للشغل يوم 21 يناير، على المستوى الوطني، للضغط من أجل تحسين الأجور التي لا تتجاوز زيادتها السنوية 3.8 ٪، أو عبر تحركات إضافية قد تُعلن محليًا في قابس للضغط على السلطات وإبقاء الملف البيئي في صدارة الاهتمام.

إلى ذلك، تشير الزيادة في كميات المواد المخزنة، إلى جانب شهادات العمال داخل المجمع، إلى قصور واضح في إجراءات السلامة، لا سيما في محطات التخزين، ما يثير مخاوف جدية من تكرار سيناريو كارثة بيروت[1].

ومن المفارقات أن الفلاحين في الجهة، كما في سائر أنحاء البلاد، يعانون من تراجع إنتاجهم بسبب اضطراب إمدادات أسمدة الأمونيا (DAP-18 46) ونقصها المستمر في قنوات التوزيع، الأمر الذي يفتح المجال أمام المضاربين والاحتكارات للتحكم في الأسعار. وفي المقابل، تُستورد هذه المادة في بعض السنوات من روسيا بجودة أدنى لتغطية الحاجيات المحلية، في حين توفر تونس جزءًا كبيرًا من احتياجات السوق الأوروبية، وتُعد فرنسا من أبرز مستوردي هذه المنتجات من المجمع الكيميائي.

ليست هذه الأزمة البيئية سوى انعكاس مباشر لديناميات الرأسمالية، التي تتعامل مع البيئة بوصفها مصدرًا للربح السريع، حتى وإن كان ذلك على حساب حياة السكان ومستقبل الأجيال القادمة. وتعكس خيارات المجمع الكيميائي بالضرورة التوجهات السياسية والاقتصادية للسلطات الحاكمة، عبر مختلف الحكومات المتعاقبة، ومصالح البرجوازية المحلية المستفيدة من إنتاج هذه المواد الخطرة والملوثة، لا سيما في صناعات تخزين الطاقة والأسمدة الزراعية.

ديناميات الرأسمالية تتعامل مع البيئة بوصفها مصدرًا للربح السريع، حتى وإن كان ذلك على حساب حياة السكان ومستقبل الأجيال القادمة

كما تستفيد الرأسمالية العالمية من إنتاج المجمع الكيميائي لتغذية صناعاتها وزراعتها، عبر تلبية متطلبات السوق الدولية، ولو على حساب السوق المحلية. ويتجلى ذلك من خلال أشكال استعمار اقتصادي مباشر في إطار الاتفاقيات التجارية، ومن خلال اللجوء إلى المديونية، ولا سيما عبر توجيهات صندوق النقد الدولي. ورغم تأكيد الرئيس قيس سعيّد رفضه لسياسات صندوق النقد الدولي والاتحاد الأوروبي، فإن الواقع يكشف أن جميع الحكومات المتعاقبة خلال فترة ولايته واصلت الاعتماد على التمويل الخارجي، وركزت على رفع الدعم وتعبئة الموارد، بهدف توفير السيولة اللازمة لسداد الديون. ويأتي الالتزام بمواصلة الإنتاج بأقصى طاقة في مجمع قابس الكيميائي في هذا السياق، علمًا بأن الجيش يتولى حماية هذا المجمع منذ ثورة 17 ديسمبر 2010 إلى اليوم، بما يؤكد أن هذه السياسة لا تعكس توجه الحكومة فحسب، بل تندرج أيضًا ضمن خيارات رئاسة الجمهورية، بما يخدم مصالح الرأسمالية العالمية. ■

12 ديسمبر 2025

1 في 4 أغسطس 2020، وقع انفجاران متتاليان في مرفأ بيروت بلبنان، كان الثاني ناجمًا عن انفجار مئات الأطنان من نترات الأمونيوم المخزنة في العنبر رقم 12، ما أدى إلى خسائر بشرية ومادية جسيمة، بلغت 235 قتيلًا و6500 جريح، وتشريد نحو 300 ألف شخص، وتضرر أكثر من 77 ألف مبنى. وقدّر البنك الدولي الأضرار بنحو أربع مليارات يورو، ويُعد هذا الانفجار من أخطر الانفجارات غير النووية في التاريخ.

حزب Your Party تأسس؛ وينتظرنا عمل صعب

شهد المؤتمر التأسيسي لحزب Your Party صراعًا بين بيروقراطيين غير منتخبين والتيار اليساري، لكنه انتهى – رغم كل شيء – بتأسيس حزب اشتراكي عمالي جديد.

بقلم: سيمون هانا Simon Hannah وتيري كونواي Terry Conway

مثّلت المسيرة نحو المؤتمر التأسيسي اختبارًا عسيرًا، وكشفت عن جوانب سلبية عديدة لدى بعض المناضلين/ات بين اليساريين أنفسهم. شملت الصراعات محاولات السيطرة على ملفات المنخرطين/ات، وتبادل الشتائم العلنية، وسلوكيات اندفاعية، في مواجهة النزعة المحافظة للجهاز التنظيمي. بطبيعة الحال، تبخر الحماس الكبير الذي ساد مطلع أغسطس/آب، حين سجل نحو 800 ألف شخص في الموقع، بعدما باتت الخلافات العلنية حول العضوية والمالية مكشوفة للجميع. هكذا، أصبح الهدف الأساسي للمؤتمر هو الإجابة عن سؤال مصيري: هل يستطيع الحزب الاستمرار وتصحيح مساره أم لا؟

عُقد المؤتمر التأسيسي لحزب Your Party في ليفربول يومي 29 و30 نوفمبر/تشرين الثاني 2025. رغم الصعوبات الكبيرة، شهد المؤتمر ميلاد حزب يساري اشتراكي عمالي جديد، مستجيبا لحاجة سياسية ملحّة. تتناول هذه المقالة وقائع المؤتمر، حيث جاءت نتائجه متباينة، لكن منظمة مقاومة مناهضة الرأسمالية (Anticapitalist Resistance) لا تزال عازمة على المساهمة في بناء حزب اشتراكي إيكولوجي، وترى في حزب Your Party أداة محتملة لتحقيق هذا الهدف.

غير أن صعود حزب الخضر بقيادة زاك بولانسكي قلّص المساحة المتاحة أمام نشوء «حزب يساري» آخر، ما يطرح سؤالًا محوريًا: كيف يمكن لحزب Your Party أن يحدّد هويته بوضوح كحزب اشتراكي، لا يختزل نفسه في نهج انتخابي ضيق؟

غياب تام للشفافية

لم يتحقق أي تقدم يُذكر بين إطلاق المبادرة ونوفمبر/تشرين الثاني، ما جعل الدعوة إلى المؤتمر تأتي متأخرة، عبر عملية اختيار غير شفافة وسحب قرعة غير ديمقراطي. أدى ذلك إلى استبعاد العديد من الأعضاء، خصوصًا ذوي الإمكانيات المالية المحدودة، أو الالتزامات العائلية، أو صعوبات التنقل.

كما بقي جدول أعمال المؤتمر غامضًا حتى لحظة انعقاده. اقتصر في معظمه على مداخلات لمتحدثين/ات بارزين/ات، ولم يُعلَن عنه إلا في اللحظات الأخيرة، بل وُزّع على الصحافة قبل الأعضاء/ات أنفسهم/ن. والأسوأ من ذلك أن المؤتمر لم يُمنح أي فرصة لتعديل هذا الجدول أو تقديم مقترحات بديلة.

عُرضت المقترحات للتصويت مع معرفة عدد الأصوات التي نالتها، لكن ظلّ مجهولًا سبب إدراج بعضها واستبعاد البعض الآخر. كما لم يكن واضحًا كيف جرى اختيار رؤساء الجلسات، ولا طبيعة علاقتهم باللجنة الدائمة الغامضة التي لم تُصدر أي تقرير.

معارك ناجحة داخل المؤتمر

رغم ذلك، أُدخلت تعديلات إيجابية قبل انعقاد المؤتمر، بفضل ملاحظات التجمعات الإقليمية التي ساهمت في تحسين الوثائق التأسيسية. حظيت أزمة المناخ بتركيز أكبر، وأُعيد تعريف معايير العضوية لتصبح أكثر شمولًا. كما جرى تعديل النظام الأساسي بما يسمح للجنة بتغييره بأغلبية بسيطة في المؤتمر القادم، قبل رفع العتبة إلى الثلثين.

بوجه عام، كان المؤتمر ناجحًا نسبيًا، وأثبت وجود جناح يساري مؤثر داخل حزب Your Party، قادر على تحدي البيروقراطيين الذين نصّبوا أنفسهم على قمة الحزب، وحقق انتصارات في عدد من القضايا الرئيسية. غير أن هذه النجاحات تتطلب استكمالها بنقاشات معمقة داخل المجموعات المحلية والهيئات المختلفة، لتعزيز المكاسب ومعالجة نقاط الضعف.

أجواء تصفية حسابات

سادت أجواء متوترة عشية المؤتمر، مع تداول شائعات حول استبعاد قادة من الحزب الاشتراكي العمالي (SWP) بسبب «انتمائهم إلى حزب سياسي وطني آخر»، استنادًا إلى قاعدة وردت في «اللوائح المؤقتة». وعندما استفسر جون ريس من منظمة «كونترفاير»، أجاب جيريمي كوربين بأن القاعدة قد لا تنطبق إلا على الأحزاب المنافسة رسميًا.

تيري كونداي
هي ناشطة في منظمة المقاومة المناهضة الرأسمالية، الفرع البريطاني للأممية الرابعة ، في بريطانيا، وعضو في قيادة الأممية.

لكن، على أرض الواقع، جرى عشية المؤتمر استبعاد قادة الحزب الاشتراكي العمالي جماعيًا، بمن فيهم أليكس كالينيكوس، الذي لم يكن أصلًا عضوًا في Your Party. ثم، صباح السبت، استُبعد مايكل فاليت من «كونترفاير» (وهو مستشار مستقل منتخب في بريستون)، وجيمس جايلز (مستشار مستقل في كينغستون).

كان الخوف واضحًا من أن يتقدم SWP و«كونترفاير» - وهم أعضاء في «منبر الوحدة الاشتراكية»- بتوصية عاجلة للمطالبة بانتخاب قيادة جماعية للمؤتمر. انتشرت إشاعة عن نية بعض الأشخاص «اقتحام المنصة»، وهي إشاعة غير صحيحة، لكنها استُخدمت ذريعة للإقصاء.

انطلاق المؤتمر ونقاشاته

كان المؤتمر مجرد تمثيلية مُحضّرة سلفًا من البداية إلى النهاية. جرى خنق أي محاولة للاعتراض على النظام الداخلي، بما في ذلك قطع البث المباشر، مما عزّز جوّا من الرقابة والسيطرة المكثفة داخل القاعة. كانت المناقشات حول «خارطة الطريق» عامة وفضفاضة، من قبيل: «هل يجب أن يعتمد الحزب الجديد على الطبقة العاملة؟»، لكنها بقيت سطحية بسبب قصر مدة المؤتمر.

من اللافت أن الطابع الاشتراكي العمالي للحزب أصبح موضع جدل، في حين كان توزيع وقت المداخلات مختلًا لصالح المنظمين/ات على حساب المناضلين/ات في القاعدة. كما استحال تعديل البيان السياسي خارج إطار «خارطة الطريق»، وهو خيار تحكمت فيه اعتبارات سياسية واضحة، ما جعل العملية برمتها غير ديمقراطية.

بسبب عمليات الطرد والاستبعاد، سيطر نقاش «الانتماء المزدوج» على جزء كبير من المؤتمر. ورغم أن الخيارات المطروحة لم تكن مثالية، فإن الخيار الذي يسمح للجنة التنفيذية المركزية بتحديد قائمة المنظمات المسموح بالانتماء إليها بدا أقل سوءًا في السياق الراهن.

رغم الأجواء الكئيبة في ختام أشغال يوم السبت، أظهرت نتائج التصويت صباح الأحد تأثير مطالب الجناح اليساري. حظي مبدأ «القيادة الجماعية» بدعم واسع، واعتُبر التصويت ضد حظر الانتماء المزدوج انتصارًا على مناخ تصفية الحسابات.

عمليات تصويت متوترة

أعرب العديد من المشاركين/ات عن استيائهم من رفض زارا Zarah اخذ الكلمة قبل ظهر يوم الأحد، لكن في الواقع، كان ذلك هو أفضل وقت: فقد أتاح لها، من جهة، الاحتفال بالنجاح الذي تم ذكره سابقًا، ومن جهة أخرى، التدخل في نقاش مباشر.

في تلك اللحظة، تم دعوة الأعضاء للتصويت على البيان السياسي والأنظمة، كما تم تعديلهما في اليوم السابق. في حال كان التصويت في غير صالحهما، لم يكن بالإمكان التوصل إلى أي توافق. على الرغم من ذلك، دعت عدة مجموعات إلى رفض اللوائح. كانت هناك شائعات بأن فريق كوربين كان يناقش الأمر، لكننا لم نحصل على دليل على ذلك – على الرغم من أننا شهدنا شخصاً، يبدو أنه من أتباع كوربين، يدافع عن هذا الموقف قبل أن يتراجع عندما تم استدعاؤه. وقد أوضحت زارا بوضوح، وسط تصفيق حار من الحضور، أنها تدعو إلى اعتمادها.

بوجه عام، كان المؤتمر ناجحًا نسبيًا، وأثبت وجود جناح يساري مؤثر داخل حزب Your Party

أخيرًا، تم اعتماد البيان السياسي والأنظمة بأغلبية ساحقة. ومع ذلك، شعر المشاركون خلال المؤتمر بإحباطات أخرى. وعلى وجه الخصوص، حقيقة أن جزءًا كبيرًا من المتحدثين يوم الأحد قد أخذوا الكلمة. على وجه الخصوص، كان هناك شعور بأن جزءًا كبيرًا من المتحدثين يوم الأحد قد اخذوا الكلمة بالفعل، أحياناً عدة مرات. وقد اعتبر هذا الأمر ظلماً يصب في مصلحة الجماعات المنظمة، على الرغم من حملة تصفية الحسابات.

كانت هناك مشكلة أخرى تتمثل في عدم وجود وسيلة لتقييم المناقشات وفقًا لأهميتها أو طابعها الجدالي. وبالتالي، بدا أن بعض النقاشات كانت مجرد إجراء شكلي، دون إمكانية التصويت عليها في وقت مبكر، بينما كانت أخرى سريعة جدًا ومتحيزة بسبب طرق التصويت التي قدمت خيارين سيئين بدلاً من اقتراحات متوازنة.

سيمون هانا

سيمون هانا، كاتب ومناضل نقابي وعضو في المقاومة المناهضة للرأسمالية، الفرع البريطاني للأممية الرابعة وهو نائب السكرتير في نقابة أونيسون. ألف العديد من الكتب ومن ضمنها «حزب مع الاشتراكيين داخله : تاريخ اليسار العمالي».

أخيرًا، لم تُناقش بعض القضايا في المؤتمر: شعرنا بالارتياح، نوعًا ما، لعدم طرح فكرة ضرورة تنظيم حزب Your Party في أيرلندا الشمالية؛ إذ كان إعطاء الأولوية لهذه القضية سيُعدّ أمرًا سيئًا، والاستجابة لها ستكون كارثة استعمارية. في المقابل، من الإيجابي للغاية أن حقوق المتحولين جنسيًا قد نوقشت وحظيت بدعم واسع.

على الرغم من ذكر ذلك من قبل العديد من المتدخلين رفيعي المستوى، فقد تم استبعاد الأشخاص ذوي الإعاقة فعلياً من عملية استُغلت فيها مصالحهم من خلال السؤال عما إذا كانت لديهم احتياجات خاصة، دون توضيح ما إذا كان بالإمكان تلبية تلك الاحتياجات. إن وجود مترجمي لغة الإشارة أمر جيد، لكن السماح للمندوبين/ات بالصراخ مما يعيق الترجمة أمر غير مقبول. كما أن غياب النقاش حول كيفية تلبية Your Party لاحتياجات الأشخاص ذوي الإعاقة أمر غير مقبول.

أما الموضوع الرئيسي الآخر الذي تم استبعاده من النقاش كان أكثر غرابة: فقد تم اختيار النقاش حول أجور العمال/ات ليتم مناقشته في بداية عطلة نهاية الأسبوع، ولكن تم سحبه فجأة لأسباب غامضة، مما يشير إلى أن الاعتراضات جاءت من المعنيين الأوائل!

تصويت وأسماء

ثم اندلع النقاش حول اسم الحزب بشكل باهت ومخيّب: كان معظم الأشخاص الذين تم استجوابهم غير راضين عن الخيارات المحدودة ولم يكونوا مقتنعين بالحجة القائلة إن ذلك كان قرارًا من اللجنة الانتخابية. لم يتم تقديم أي تفسير شفاف بشأن اختيار الاقتراحات المقبولة. علاوة على ذلك، اعتبر الكثيرون أن الاسم لم يكن القضية الأكثر أهمية، على الرغم من مشاركة أكثر من 10 آلاف شخص في هذا الاقتراع. كانت هذه التصويتات، بالإضافة إلى التصويت الذي يهدف إلى تحديد الحزب بشكل صريح كحزب اشتراكي، وإدماج دعم تحرر الأشخاص المتحولين جنسياً، من بين الثلاثة تصويتات التي سجلت أكبر عدد من المشاركين/ات.

كان بإمكان الأعضاء الاطلاع على رسم بياني يُظهر النسبة المئوية للناخبين لكل خيار، بالإضافة إلى العدد الدقيق للأصوات التي حصل عليها الخيار الفائز. الملاحظة الأولى هي انخفاض نسبة المشاركة: ينص القسم المخصص للأنظمة، على سبيل المثال: «يحق للأعضاء النشطين بالكامل والذين تم التحقق من هويتهم التصويت. وقد استوفى 22,266 عضوًا هذه المعايير». وبالتالي، من بين أكثر من 55 ألف عضو مسجل، تم التحقق من هوية أقل من النصف. من المستحيل معرفة ما إذا كان هذا الانخفاض ناتجًا عن انخفاض الروح المعنوية بسبب الصراعات الداخلية، أو صعوبات تقنية، أو عوامل أخرى. كانت نتائج التصويت يوم الاثنين، التي جاءت بعد المناقشات يوم الأحد، أكثر تباينًا بالنسبة لليسار وتعكس الارتباك السائد خلال النقاشات. عقب تدخل بارز من ليز ويثلي Liz Wheatley ،عضو في الحزب الاشتراكي العمالي ونقابة UNISON في منطقة كامدن، تم تسجيل تصويت إيجابي بشأن دمج مبادئ مكافحة الاضطهاد، والذي تم فهمه من قبل جميع الحاضرين في القاعة ومن قبل أولئك الذين تابعوا البث المباشر، كأنه مطلب تحرر الأشخاص المتحولين جنسيًا.

حظي حق عزل المسؤولين عن الفروع أيضًا بدعم كبير، شأنه في ذلك شأن التوجّه العام المناهض لسياسات التقشّف لدى المرشحين لانتخابات شهر مايو/أيار المقبل.

في النهاية، صادق التصويت عبر الإنترنت على إقرار التصويت الإلكتروني على مستوى الفروع والمؤتمرات التداولية. من الواضح أن البعض رأى في ذلك سعيا إلى إشراك الجميع ، ولكن عندما يتم التصويت عبر الإنترنت، يتم ذلك بشكل مذرر، دون الحاجة إلى حضور جميع المناقشات. يمكن أيضًا أن يتم التلاعب بمثل هذا التصويت من قبل شخصيات مؤثرة على وسائل التواصل الاجتماعي تحث على التصويت بطريقة معينة، دون مراعاة معنويات المنتدبين/ات. كما أن التصويت عبر الإنترنت على قرارات المؤتمرات التداولية يضر بمبدأ المشاركة في هذه المؤتمرات ذاتها. بالنسبة لنا، فإن مبدأ اشراك الجميع يعني أن الاجتماعات هجينة وتُعقد في أماكن يسهل الوصول إليها. ويتطلب ذلك بذل جهود حثيثة لانتخاب وفود تضم الجميع وإعطاء تقارير شاملة. إن النقاش الجماعي ضروري لبناء حزب العمال الجماهيري الضروري.

النضال من أجل حزب يشرك الجميع

في الوضع الذي يجري فيه بناء المنظمة، وحيث لم تكن هناك جمعيات في جميع المناطق، وحيث انعقدت الاجتماعات في وقت قصير جدًا، وحيث لم يتم إرسال الاخبار بالاجتماعات إلى جميع الأعضاء الذين يؤدون واجباتهم المالية، وحيث كانت هناك انقسامات عصبوية في بعض المناطق، لم نشهد تجربة جماعية كاملة.

لذلك قرر المؤتمر أن الاجتماع المقبل سيجمع بين انتخاب المنتدبين/ات والاختيار بالقرعة، وأن «المبادرة السياسية المحلية سيتم تحديدها من خلال أنظمة التصويت عبر الإنترنت المفتوحة بشكل دائم لمشاركة الأعضاء المحليين» وأن «الاقتراحات المقدمة إلى المؤتمر سيتم اختيارها من خلال نظام التصويت الدائم». كانت نتيجة هذه التصويتات مربكة وغير شفافة، ومهما كانت نوايا أولئك الذين اقترحوها، فهي غير ديمقراطية في الأساس.

إذن، من هنا يبدأ العمل. يتعلق الأمر ببناء هيئات ديمقراطية تشرك الجميع وسهلة الوصول إليها، حيث تتاح فرصة المشاركة للجميع. يجب أن تكون الحملات الانتخابية مصحوبة بالانخراط في المجموعات المحلية والحملات المحلية والنقابات العمالية. ويجب إنشاء الهياكل الوطنية والإقليمية ومجموعات العمل التي تمثل المضطهدين/ات وفقا لنفس المبادئ. هناك آفاق عظيمة مفتوحة أمامنا، ولكن هناك أيضًا مسؤوليات هائلة.

يتوقف نجاح Your Party أو فشله على كيفية تفاعله مع العالم الخارجي، وعلى قدرته على أن يصبح فاعلا لا غنى عنه في الصراع الطبقي. يجب عليه أن يقدم بدائل ضد التقشف، وضد جميع أشكال التمييز، والإمبريالية، وأن يدافع عن أفق مجتمع اشتراكي. أما إذا بقي غارقاً في صراعاته الداخلية، فسوف سيضمحل ويصبح ويتحوّل إلى منظمة عاجزة. ■

1 ديسمبر 2025

فنزويلا: ضرورة بناء نزعة عمالية مناهضة للإمبريالية

أُعيد تشكيل الخريطة الجيوسياسية المحيطة بفنزويلا عبر تركيز غير مسبوق للقوة العسكرية الأمريكية في جنوب البحر الكاريبي، حيث دفعت واشنطن بحاملة الطائرات USS Gerald R. Ford، وأكثر من خمسة عشر ألف جندي، ونفّذت عمليات قاتلة في أعالي البحار، مرفقة بخطاب يربط بين "الإرهاب" وتهريب المخدرات.

لويس بونيلا – مولينا

لويس بونيلا – مولينا، باحث في العلوم الاجتماعية، مدرس ومناضل من فنزويلا في الأممية الرابعة

بقلم: لويس بونيلا – مولينا

في وقت تكثّف فيه واشنطن ضغوطها لإنهاء الدورة السياسية للمادورية، يواجه نظام مادورو هشاشة غير معهودة منذ عام 2013. وفي الخلفية، تتبلور عقائد جديدة، وتعود طموحات قديمة إلى الواجهة، بينما يجد البلد نفسه محاصراً بين حظر خارجي وانزلاق داخلي نحو الاستبداد.

تحوّل جنوب البحر الكاريبي، في أقل من أربعة أشهر، إلى واحدة من أكثر المناطق عسكرة في نصف الكرة الغربي. نشرت إدارة ترامب مدمرات وغواصات نووية وطائرات دوريات بحرية، إضافة إلى الوحدة الاستكشافية الثانية والعشرين لقوات المارينز، ثم حاملة الطائرات USS Gerald R. Ford ومجموعتها الهجومية.

أسفرت العمليات المنفذة في إطار عملية Southern Spear عن مقتل سبعة وثمانين صياداً، إثر اثنين وعشرين هجوماً استهدف ثلاثة وعشرين قارباً، وجرى توصيف هذه العمليات بانها "إجراءات ضد إرهابيي المخدرات المرتبطين بفنزويلا". وقد أدانت منظمات إنسانية هذه الوقائع ووصفتها بعمليات إعدام خارج نطاق القانون.

رافق هذا التصعيد ضغطٌ دبلوماسي مكثف، وإعلانات عن إغلاق المجال الجوي، وتوسيع نطاق المناورات العسكرية في دول حليفة، من بينها بنما، وجمهورية الدومينيك، وكوراساو، وترينيداد وتوباغو. وهكذا غَدا جنوب البحر الكاريبي ممراً جيوستراتيجياً محورياً، تتوسطه فنزويلا.

خمسة وعشرون عاماً من الحصار

تعود جذور هذه القصة إلى عام 1998، حين فاز هوغو تشافيز بالانتخابات الرئاسية. آنذاك، رأت الولايات المتحدة أن العلاقة شبه الاستعمارية التي نسجتها مع فنزويلا منذ انقلاب 1908 بقيادة خوان فيسنتي غوميز باتت مهددة. وكان التدخل الأمريكي الهادف إلى إطاحة سيبريانو كاسترو ([1]) نقطة انطلاق لاستراتيجية للسيطرة على صناعة النفط الفنزويلية، والتي استمرت دون انقطاع طوال القرن العشرين.

اعتبرت واشنطن أن مصالحها الاستراتيجية في خطر، حين أوفى تشافيز بوعده بإطلاق مسار تأسيسي لإصلاح الدستور عام 1999، وإعادة بناء الأسس السياسية والاقتصادية والاجتماعية للدولة. وأسهمت مبادرات الحركة التشافيزية بين عامي 2000 و2001، لإعادة تحديد ملكية الأراضي الزراعية وتعزيز سيطرة الدولة على الصناعة النفطية، في دفع الولايات المتحدة إلى تشجيع الانقلاب على تشافيز عام 2002، قبل أن تُحبطه التعبئة الشعبية.

منذ ذلك الحين، تصاعد التوتر بين واشنطن والحكومة الفنزويلية، خصوصاً بعد إعلان تشافيز موقفه المناهض للإمبريالية عام 2004. المتمثل بعبارته «Yankees de mierda : Váyanse al Carajo " ("أيها الأمريكيون القذرون: اذهبوا إلى الجحيم»). ومع ذلك، استمرت فنزويلا طوال تلك المرحلة مُورداً ثابتاً للنفط إلى أمريكا الشمالية. لكن مرض تشافيز ووفاته فتحا الباب أمام إعادة تقييم شاملة لكل السيناريوهات والمسارات.

الرقص مع الشيطان

لم يواصل مادورو مشروع تشافيز، بل أعاد تشكيله اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وعسكرياً

---

1 رفض الرئيس الفنزويلي سيبريانو كاسترو الاعتراف بالديون الخارجية لفنزويلا، مما أدى في 1902-1903 إلى حصار بحري للساحل الفنزويلي من قبل القوى الأوروبية. تدخلت الولايات المتحدة بصفتها "وسيطًا"، مما عزز نفوذها الجيوسياسي في البلاد، لكنها ظلت تنظر بعين الريبة إلى قومية كاسترو، التي كانت تبدو عائقًا أمام السيطرة على النفط الفنزويلي. كان دومينغو ألبرتو رانجيل، مؤسس حركة MIR وزعيم اليسار الراديكالي الفنزويلي التاريخي، من أوائل الذين أشاروا في كتابه Gómez, el amo del poder (1975) إلى دعم الولايات المتحدة للانقلاب الذي قاده غوميز. فبمجرد وصوله إلى السلطة، ألغى غوميز امتيازات النفط الممنوحة للبريطاني هوراسيو هاميلتون ومنحها لشركة جنرال أسفلت (الولايات المتحدة). بين عامي 1910 و1914، منح غوميز أول امتيازات نفطية كبيرة لشركات أمريكية مثل كاريبيان بتروليوم، التي كانت آنذاك تابعة لشركة ستاندرد أويل.

طيارون أمريكيون يقومون بتركيب الأسلاك الشائكة في بورتو ريكو، في 14 أكتوبر 2025. غابرييل جونز / القوات الجوية الأمريكية / ملكية عامة

وأمنياً. فالمادورية تمثل مشروعاً سياسياً لقطاع برجوازي ناشئ، يوظف الخطاب الاشتراكي للتغطية على التخلي عن جوهر المشروع الاجتماعي للتشافيزية.

مرت المادورية بأربع مراحل. خصصت المرحلة الأولى، بين 2013 و2017، لسحق وإخضاع معظم الممثلين السياسيين للبرجوازية القديمة واستمالتهم، وترسيخ برجوازية جديدة نشأت في الفترة بين 2002 و 2013 عقب الانقلاب العسكري عام 2002. وقد قوبلت هذه المرحلة برد أمريكي، سواء أثناء رئاسة أوباما أو خلال رئاسة ترامب الأولى تمثل في فرض تدابير قسرية أحادية الجانب، شكّلت تدخلاً إمبريالياً غير مسبوق في تاريخ فنزويلا.

أما المرحلة الثانية، بين 2018 و2024، فقد قرر خلالها مادورو استهداف قوى اليسار التي رافقت تشافيز منذ 1998 (الحزب الشيوعي الفنزويلي، وحزب الوطن للجميع PPT وغيرهما)، عبر نزع الشرعية السياسية عن قياداتها، وقمع زعماء الحركات النقابية والاجتماعية، والمهنية، وتجميد الحوارات والمفاوضات الجماعية، وعدم قبول إلا ما يخدم بيروقراطية النظام. وفي غضون ذلك، فتح مادورو قنوات تفاوض مع الولايات المتحدة، سرية في البداية ومعلنة فيما بعد، بلغت ذروتها مع الحرب في أوكرانيا، حين عادت فنزويلا مورداً آمناً للنفط للشمال، ولكن هذه المرة وفق شروط دفع استعمارية جديدة بالكامل.

يعرف مادورو كيف يفاوض الولايات المتحدة. ففي سنة 2002، عندما كان رئيسًا للبرلمان الفنزويلي، أسّس «مجموعة بوسطن» (صداقة برلمانية فنزويلية-أمريكية)، وبصفته وزيرًا للخارجية أبقى دائمًا الباب مفتوحًا أمام الولايات المتحدة، ولا سيما خلال الأزمة الاقتصادية العالمية لسنة 2008 بسبب تأثيرها على صناعة النفط.

وبين 2018 و2024، أعاد اتباع هذه الاستراتيجية عبر إقصاء الشخصيات المتحدرة من التشافيزية والحزب الاشتراكي الموحد الفنزويلي التي كانت تحاول مواصلة المشروع الذي رسم تشافيز معالمه في دستور عام 1999.

بدا مادورو مصمماً على البقاء في السلطة ما لم يضمن مسبقا شروط بقاء في السلطة للبرجوازية الجديدة التي يقودها ويمثلها

وجاءت المرحلة الثالثة، عقب انتخابات 2024، بسبب غياب الشفافية وموثوقية النتائج الانتخابية التي أعلنت فوز مادورو. حينها، بدا مادورو مصمماً على البقاء في السلطة ما لم يضمن مسبقا شروط بقاء في السلطة للبرجوازية الجديدة التي يقودها ويمثلها، وأيضا للمؤسستين العسكرية والأمنية اللتان تدعمانه، وكذا للقادة الموالين له منذ 2013، ما قاد إلى موجة استبدادية مادورية أدت إلى اعتقال أكثر من ألفي شخص خلال عام واحد، جرى تسريح بعضهم مع إجراءات تقييدية.

أما المرحلة الرابعة، فبدأت في أغسطس 2025 بالموازاة مع السعي إلى اتفاق مع الولايات المتحدة لتفادي مواجهة عسكرية مباشرة. ورغم استمرار الخطاب العدائي، انفتح مادورو على الحوار مع ترامب منذ بداية الانتشار العسكري الأمريكي، وصولاً، في نهاية نوفمبر، إلى الإعلان عن أول اتصال هاتفي مع ترامب، وعن مواصلة فتح الحوار، ما يعتبر مؤشرا على استعداد مادورو لتقديم تنازلات لتجاوز هذه الأزمة ولضمان بقاءه في الحكم.

غير أن واشنطن لم تعد تثق بوعوده، وقد تسعى إلى المطالبة بإنشاء قواعد عسكرية على الأراضي البوليفارية، وهو طموح أمريكي معرقل منذ سنوات 1960. ومع عقيدة ترامب الأمنية الجديدة التي تُعيد التأكيد على مبدأ مونرو وتوسّعه، يبدو هذا الاحتمال هو الأرجح. وطبعا قد يجري ذلك تحت غطاء اتفاق تعاون على غرار ما حدث في بنما، وفي هذه الحالة ضد تهريب المخدرات، وبالتأكيد ليس كاتفاق صريح يفضي إلى إقامة قواعد عسكرية. وسيعني قبول اتفاق كهذا خضوع مادورو لسيف داموقليس الذي من شأنه إجباره على القيام بانعطاف بزاوية 180 درجة في خطابه وسياساته. هل سيجرؤ على ذلك؟ وما عواقب قبوله أو رفضه؟

لقد ابتعدت المادورية بالفعل منذ فترة طويلة عن مشروع هوغو تشافيز. ورغم محافظتها على خطاب اشتراكي موجه للخارج، فقد عززت داخلياً نموذجاً استبدادياً ذو سمات نيوليبرالية، ونظاماً قمعيّاً فعّالاً، ونخبة اقتصادية جديدة مرتبطة بإدارة الدولة. وساهمت هذه السياسات التي تفضل البرجوازية الجديدة، في سياق الحصار الاقتصادي الأمريكي، في انهيار الأجور، والهجرة الجماهيرية، وقمع النقابات، وتدهور المؤسسات، ما أدى إلى تآكل شرعيتها. وقد خلفت انتخابات عام 2024 بالفعل شرخا عميقا بين الحكومة والمجتمع.

المواجهة

حتى الآن، لا تتحدث الولايات المتحدة عن غزو مباشر، بل عن عمليات لمكافحة تهريب المخدرات قد تشمل ضربات برية، وليس فقط في المياه الدولية. وما شهدته الأشهر الأربع الأخيرة حرب من الجيل الجديد، لا تكتفي بالقصف الصاروخي وعمليات هجوم مباشر، بل تمزج بين العمليات العسكرية، والضغط الدبلوماسي، والاستخبارات المؤتمتة المعتمدة على المصادر

المفتوحة (OSINT). توفر الأقمار الصناعية، وأنظمة التحديد الآلي (AIS)، وتحليل الشبكات الاجتماعية، والنماذج التنبؤية معلومات فورية حول التحركات العسكرية الفنزويلية، وردود الفعل الاجتماعية الداخلية، والحالة المعنوية للقوات المسلحة ومواقف الحكومة تجاه أي حدث. تهدف الولايات المتحدة الآن ربما إلى مراكمة كم هائل من المعطيات والمعلومات تتيح لها توقع سلوك الناس في فنزويلا وأمريكا اللاتينية، وضبط مستوى الضغوط دون خوض حرب تقليدية. بعبارة أخرى، لقد بدأت الحرب دون إطلاق أي صاروخ، وتجري بواسطة جمع وتحليل المعطيات والسلوكيات والمرويات.

يشكّل الحظر الجوي، المنطلق بإشعار للطيارين صادر عن إدارة الطيران الفيدرالية الأمريكية [1]، وعززه أمر مباشر من ترامب بإغلاق المجال الجوي، أداة إضافية للتدخل الامبريالي، إذ يسعى إلى تشديد الحصار الاقتصادي والإعلامي لفنزويلا في سياق المفاوضات الجارية. أما احتمال شن هجوم عسكري مشابه لما جرى ضد إيران، فيظل رهناً بسير ومآلات هذه المرحلة من المفاوضات المفتوحة.

سجلت أسواق النفط انخفاضاً في الأسعار منذ يناير 2025 ولم تبد أي قلق إزاء الأزمة العسكرية في منطقة البحر الكاريبي، على الرغم من أن فنزويلا تمتلك أكبر احتياطيات من النفط الخام في العالم. ويبدو أن سوق النفط يراهن على حل تفاوضي للصراع. سنرى في الأيام المقبلة ما إذا كان محللو البورصة على حق.

أما المشكلة الكبرى التي تواجه الولايات المتحدة للمضي قدماً في المرحلة الانتقالية بعد مادورو، فهي القدرة المحدودة على الحكم التي يتمتع بها الثنائي ماريا كورينا ماتشادو وإدموندو غونزاليس أوروتيا (المعروفان باسم MCM-EGU). صحيح أن ماريا كورينا ماتشادو، اليمينية المتطرفة، الحائزة على جائزة نوبل، تتمتع بكاريزما تُجسد رفض مادورو، لكن هذا لا يعني قدرتها على الحكم في خضم عاصفة انتقالية معقدة مثل تلك التي تشهدها فنزويلا. فالتصريحات التي أطلقتها ماتشادو حول ملامح حكومتها المحتملة تجعلها أقرب إلى برامج لا ليبرالية منها إلى تفويض قائم على المصالحة الوطنية وبناء التوافق من أجل استقرار البلاد. ولهذا السبب، قد تكون حكومة مادورو نفسها في نهاية المطاف الأكثر استقرارًا لإمدادات النفط إلى الولايات المتحدة، ولكن هذا يجب أن يتم في إطار تغيير هيكلي في خطاباتها وأفعالها. الخيار الآخر هو محاولة إجراء انتقال منظم بناءً على اتفاق بين أربعة أطراف مختلفة: المادوريون، والثنائي متشادو-أوروتيا (MCM-EGU) ، والقطاع العسكري-الأمني، وأرباب العمل في فدرالية غرف التجارة. بعبارة أخرى، يتعلق الأمر بفرض تشكيل حكومة جماعية تتجنب الصدمات – والمخاطر التي تهدد إمدادات النفط – الناجمة عن مواجهة مطولة في إطار انتقال غير متفاوض عليه. ولا يبدو ذلك سهلاً على المدى القصير.

> **الموقف الثوري السليم هو إطلاق حملة نضالية نشطة مناهضة للإمبريالية. فلا يجوز استخدام نقد المادورية كذريعة لتبرير التدخل العسكري، كما لا يمكن، في المقابل، الدفاع عن حكومة تنزلق إلى الاستبداد**

مناهضة الإمبريالية خيارا ثوريا

ليس لدينا وصول مباشر إلى المفاوضات، لكننا نرى الانتشار العسكري الوحشي للولايات المتحدة في منطقة البحر الكاريبي. هذه هي الحقيقة الملموسة. في ظل هذا الواقع، يصبح الموقف الثوري السليم هو إطلاق حملة نضالية نشطة مناهضة للإمبريالية. فلا يجوز استخدام نقد المادورية كذريعة لتبرير التدخل العسكري، كما لا يمكن، في المقابل، الدفاع عن حكومة تنزلق إلى الاستبداد. الموقف الديمقراطي الوحيد القابل للحياة يقوم على رفض نزعة التدخل الأمريكي، واستبداد الحكومة المادورية، والدفاع عن حقوق العمال-ات والحريات السياسية، والضغط من أجل حل سلمي وسيادي. فالمنطقة بحاجة إلى حل ديمقراطي، سيادي، وسلمي. لا للحصار، لا للوصاية، ولا للحروب. ■

7 ديسمبر 2025

---

1 إشعارات NOTAM، تعود باللغة الإنجليزية إلى Notice to Airmen (رسائل إلى الطيارين)، هي رسائل تنشرها وكالات مراقبة الملاحة الجوية الحكومية بهدف إعلام الطيارين بالتطورات على أو حول البنى التحتية.

حاملة الطائرات يو إس إس جيرالد ر. فورد التابعة للبحرية الأمريكية. جاكسون أديكنز / البحرية الأمريكية.

«جيل زد» وصعود اليمين المتطرف

يسعى اليمين المكسيكي، مدعومًا بالقطاعات الأوليغارشية، ومشجَّعًا علنًا من دونالد ترامب، إلى استثمار حالة السخط الاجتماعي من أجل زعزعة استقرار حكومة كلوديا شينباوم Claudia Sheinbaum.

بقلم: خوسيه لويس هيرنانديز أيالا
José Luis Hernández Ayala

تظل قدرة هذا اليمين على الحشد محدودة، غير أن الخطر يبقى قائمًا وحقيقيًا. ولا يَبرز حاجز فعّال في مواجهته سوى تعميق مشروع التغيير المجتمعي، وبناء حركة اجتماعية مستقلة، ذات قدرة على صد للتهديد الفاشي.

ضخّت وسائل الإعلام الوطنية والدولية توقعات واسعة بشأن الأثر المزعزع المفترض لتعبئة «الجيل Z» في الخامس عشر من نوفمبر ضد حكومة كلوديا شينباوم باردو التقدمية، غير أن النتائج جاءت مخيبة لآمال مروّجيها. فقد تراوح عدد المتظاهرين في مختلف أنحاء البلاد بين 80 و90 ألفًا، لم يشكّل الشباب منهم سوى نحو الثلث، وهي نسبة لا تختلف عن تلك المسجلة في مسيرات سابقة نظّمتها الأحزاب اليمينية واليمينية المتطرفة نفسها. واتخذت هذه القوى من أزمة الأمن ذريعةً للتعبئة، رغم أنها تتحمل مسؤولية مباشرة عن تعميقها.

حاول منظمو التحرك استحضار نموذج تعبئة عشرات الآلاف من الشباب التي أسقطت حكومة فاسدة وغير شعبية بامتياز في نيبال.

أثار اغتيال كارلوس مانزو، عمدة مدينة أوروابان، ثاني أكبر مدن ولاية ميتشواكان، على يد عصابة «خاليسكو نويفا خينيراسيون»، موجة غضب عارمة على الصعيد الوطني، ولا سيما في أوساط الشباب الذين ينسبون أنفسهم إلى هذا الجيل. غير أن أحزاب اليمين سارعت إلى توظيف هذا الغضب، وسعت إلى تحويله إلى وقود لحركة انقلابية علنية تستهدف الاستيلاء على القصر الوطني. وانتهت هذه المحاولة إلى الفشل، إذ رفض الشباب الانجرار وراء دعواتها، ونأوا بأنفسهم عن تلاعب المعارضة.

هجوم الأوليغارشية اليمينية المتطرفة

انبثقت القوى المحرّكة لهذه التعبئة من قطاعات أوليغارشية ومحافظة محددة المعالم. وتقدّم في طليعتها رجل الأعمال ريكاردو سالیناس بلییغو، مالك قناة «تيليفيسيون أزتيكا»، المعروف بنزاعاته الضريبية مع الدولة، وبخطابه الذي يقترب باطراد من النزعة النيوفاشية التي يمثلها سياسيون من طراز الرئيس الأرجنتيني خافيير ميلي. والتحق بهذه الحملة كبار رجال الدين الكاثوليك، المتأهبون لإحياء الذكرى المئوية لحرب «الكريستيروس»، إلى جانب القيادات التاريخية لحزبي الثورة المؤسساتية (PRI) والعمل الوطني (PAN). روّج نواب هذه الأحزاب خطابات كراهية واتهامات واهية، فوصموا حكومة كلوديا شينباوم بـ«الشيوعية»، وحمّلوها مسؤولية اغتيال مانزو. وشارك في الحملة أيضا عدد من الصحفيين والمثقفين، فنددوا بما سموه «انحرافًا استبداديًا» للحكومة، من دون أن يسندوا ادعاءاتهم بأدلة.

فخلافًا للتحركات السابقة التي حاولت الاحتماء بواجهة «ديمقراطية» هشة اتخذت الاحتجاجات الأخيرة طابعًا انقلابيًا صريحًا

فسّر هذا التداخل السام للمصالح الطابع الجديد للحملة اليمينية. فخلافًا للتحركات السابقة التي حاولت الاحتماء بواجهة «ديمقراطية» هشة — كالمسيرة البيضاء أو «المد الوردي» أو الدفاع عن المعهد الانتخابي الفيدرالي — اتخذت الاحتجاجات الأخيرة طابعًا انقلابيًا صريحًا. وقد رُوجَت علنًا دعوات إلى تدخل عسكري أمريكي في المكسيك، وإلى انقلاب تقوده القوات المسلحة. وسُجلت أعمال عنف منسقة استهدفت الحواجز الأمنية المحيطة بالقصر الوطني، ورافقتها شعارات معادية للنساء والمثليين واليهود، وخطابات عنصرية، إضافة إلى ارتداء قمصان تحمل رموزًا نازية.

خوسيه لويس هيرنانديز أيالا

خوسيه لويس هيرنانديز أيالا، هو مندوب نقابة الكهربائيين المكسيكسة وعضو المكتب التنفيذي الوطني للمركز النقابي الجديد. نشرت هذه المقالة من قبل *جاكوبين أميركا اللاتينية*

لم تأتِ إشادة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بهذه التعبئة من فراغ، كما لم يكن استبعاده اللاحق لإمكانية التدخل في المكسيك بذريعة مكافحة تهريب المخدرات أمرًا عارضًا؛ إذ أسهمت الإمبريالية الأمريكية، في هذا السياق، في تغذية ملامح «الوحش الفاشي» الصاعد.

وعلى الرغم من تواضع مظاهرة الخامس عشر من نوفمبر، وتعبيرها أساسًا عن حالة يأس داخل أوساط اليمين المتطرف، لا يجوز بخس دلالتها. فقد شهدت الأيام اللاحقة إضرابات جماعية لعمال النقل ولمدافعين عن الحق في المياه، امتزجت فيها مطالب مشروعة — كتحسين أمن النقل العمومي ومنع احتكار الموارد المائية من قبل الشركات متعددة الجنسيات — بمحاولات تلاعب قادها اليمين لزعزعة استقرار الحكومة. واستدعى هذا المشهد، في بعض جوانبه، تكتيكات اليمين التشيلي قبيل الانقلاب على حكومة سلفادور أليندي سنة 1973.

إشكالية انعدام الأمن

وجّهت حكومة كلوديا شينباوم ضربات ملموسة إلى عدد من الجماعات الإجرامية، غير أن معضلة انعدام الأمن ظلت قائمة، بل تفاقمت في بعض المناطق. ولم يعد تهريب المخدرات، بما يصاحبه من ابتزاز وخطف واتجار بالبشر، ولا سيما النساء، والجرائم الإلكترونية وغسل الأموال، نشاطًا لعصابات هامشية، بل غدا صناعة متجذرة في أعلى المستويات السياسية والاقتصادية والمالية.

ارتبط توسع هذه الظاهرة عالميًا بصعود النموذج الاقتصادي النيوليبرالي، الذي أفضى إلى بطالة جماهيرية في قطاعات اجتماعية واسعة. وتُستحضر هنا صورة المدن الصناعية الأمريكية التي فرغت سريعًا بعد نقل الصناعات التحويلية إلى الجنوب أو إلى آسيا.

وفي المكسيك، أدت السياسات النيوليبرالية التي انتهجها ميغيل دي لا مدريد، وكارلوس ساليناس، وإرنستو زيديلو، إلى تشريد مئات الآلاف من الأشخاص وإلقائهم في الشارع. ولم يجد المتضررون سوى ثلاث مسارات للبقاء: الهجرة إلى الولايات المتحدة، أو الاندماج في الاقتصاد غير المنظم، أو الانخراط في شبكات الاتجار بالمخدرات. وأنتج الطابع غير المشروع لهذه الأنشطة بيئة خصبة لنشوء شبكات إجرامية جديدة، شملت الاتجار بالبشر ، لاسيما النساء، والتهريب والقرصنة، فضلًا عن كارتلات الاتجار بالمخدرات (النشاط الأكثر مردودية) التي ازدادت التصاقًا بمراكز السلطة السياسية والاقتصادية.

لا نبالغ إذا أكدنا أن التوسع الكبير للكارتلات منذ ثمانينيات القرن الماضي ما كان ليحدث لولا حماية مباشرة أو غير مباشرة من الدولة المكسيكية، بل ومن الولايات المتحدة نفسها. فقد موّلت واشنطن حروبها السرية في أفغانستان ونيكاراغوا بعائدات مستمدة من الاتجار بالمخدرات. ولم تعد الكارتلات جماعات هامشية، بل تحولت إلى شركات عابرة للحدود، تشغّل آلاف الأفراد، وتبسط نفوذها على حكومات محلية، وسياسيين بارزين، وقضاة، وقيادات عسكرية، وتسيطر على أقاليم واسعة.

يقتضي الأمر تفكيك النيوليبرالية وخوض معركة ثقافية من أجل بديل اشتراكي

في هذه البيئات، تشكلت «ثقافة المخدرات»، فاعتبر كثير من الشباب أن حياة إجرامية قصيرة قد تعوّضها مظاهر ثراء فاحش وبذخ صارخ. وليس ذلك سوى تجلي لثقافة نيوليبرالية مُمَجدة لفردانية مطلقة دُفعت إلى ذروتها الأشد عنفا.

تطلبت مواجهة هذه المنظمات وشبكات نفوذها والثقافة التي تضفي عليها الشرعية مسارًا طويل الأمد. وبرزت الحاجة، إلى جانب تفكيك شبكاتها المالية، ومحاربة الفساد داخل النخب السياسية والقضائية والعسكرية، واتخاذ إجراءات حازمة ضد الجماعات الإجرامية — بما في ذلك تنظيم أشكال دفاع ذاتي وشرطة جماعية في الأرياف — إلى حل جذري يتمثل في بناء نظام اقتصادي أكثر عدالة ومساواة، قائم على القيم الجماعية والتضامن. وبعبارة أدق: يقتضي الأمر تفكيك النيوليبرالية وخوض معركة ثقافية من أجل بديل اشتراكي.

كيف تُواجَه الفاشية؟

إن السبب الرئيسي الذي يجعل المكسيك، كواحد من البلدان القليلة التي يوجد فيها أقصى اليمين والفاشية في موقع دفاعي، هو أن الحكومة نجحت، وحتى دون قطيعة جذرية مع النيوليبرالية، في تحسين مستوى معيشة الأغلبية من السكان بشكل دائم. فقد أسهمت الزيادات في الحد الأدنى للأجور، وتوسيع البرامج الاجتماعية، والاستثمار في البنية التحتية، وتنظيم العمل بالعقود الخارجية، والتقدم في الحريات النقابية، واستعادة هوامش من السيادة الطاقية، وإلزام كبار المستثمرين بدفع الضرائب، في ترسيخ قاعدة اجتماعية واسعة ومستقرة لما يُعرف بـ«التحول الرابع».

غير أن هذا المسار، إن لم يُعمَّق وراوح منتصف الطريق سيفتح المجال أمام إعادة تشكل القوى اليمينية. وتبقى مهام جوهرية في انتظار الإنجاز، من بينها استعادة القدرة الشرائية للأجور التعاقدية، وإعادة إرساء نظام تقاعد تضامني عبر إلغاء نظام Afores (نظام استثمار صناديق المعاشات)، ومعالجة إشكالية مؤشر UMA (وحدة حسابية)[1] وتحسين الأمن العام بصورة جذرية، والتجاوب مع مطالب الفئات الاجتماعية المختلفة عبر حوار فعلي وحلول ناجعة، فضلًا عن الدفع بإصلاح ضريبي تصاعدي، ومراجعة — ثم إلغاء — الدين العمومي ذي الطابع الكريه.

ويقتضي هذا البرنامج بناء حركة اجتماعية واسعة ومستقلة عن الحكومة، قادرة على الحفاظ على مستوى عالٍ من التعبئة في مواجهة تهديد الأوليغارشية اليمينية المتطرفة والفاشية، التي تجسدها شخصيات مثل ريكاردو سالیناس بلييغو، وتسعى إلى فرض حضورها عبر مناورات زعزعة الاستقرار. وفي الوقت نفسه، يتعين على هذه الحركة أن تدافع عن مطالبها الخاصة تجاه الحكومة القائمة، من دون الارتهان لليمين أو للسلطة، وبما يصون استقلاليتها السياسية والتنظيمية. ■

2 ديسمبر 2025

1 L'Unidad de Medida y Actualización : وحدة حسابية تُستخدم في احتساب المعاشات والإعانات الاجتماعية، ويؤدي نموها الأبطأ مقارنة بالحد الأدنى للأجور إلى تآكل القدرة الشرائية للمتقاعدين.

التركة الأسدية بين يدي الشرع

هرب الأسد بعد أن ترك سوريا مُدمَّرة على جميع المستويات والأصعدة. ولكن الأخطر فيما دمّره الأسد ونظامه، هو تدمير النسيج الاجتماعي السوري، في ظل نسيج مُعقَّد ومُركَّب في مكوناته العرقية والطائفية.

بقلم: منيف ملحم

استولت «هيئة تحرير الشام» على دمشق في 8 ديسمبر 2024، ودخلت سوريا في مرحلة جديدة. عاش فيها السوريون في أشهرها الأولى خليطًا من الفرح والحذر. وتابعتها دول على الصعيد الدولي بحذر وترقُّب. سارعت «الهيئة» إلى عقد ما سُمِّي «مؤتمر النصر» الذي بايع الجولاني (أحمد الشرع) رئيسًا لسوريا[1]. والذي أعلن بدوره عن حل الهيئة وتشكيل الجيش الوطني السوري، وتشكيل حكومة مؤقتة اقتصرت على أعضاء من داخل الهيئة. دعت القوى السياسية ومنظمات المجتمع المدني إلى عقد مؤتمر وطني عام يشمل القوى السياسية وكافة الفعاليات المدنية والسياسية بهدف رسم طريق لبناء الدولة السورية الجديدة. لكن الشرع تجاهل الطلب وذهب إلى عقد مؤتمر للحوار الوطني غابت عنه كل القوى السياسية. واقتصرت جلساته على جلسة واحدة لم تتجاوز الثماني ساعات، أعقبها إصدار ما عُرف بالإعلان الدستوري الذي حدد المرحلة الانتقالية بخمس سنوات وأعطى لرئيس الجمهورية صلاحيات لم يتمتع بها حتى الملوك في الأنظمة الملكية المطلقة. تم تشكيل حكومة انتقالية برئاسة الشرع واحتل معظم مقاعدها أعضاء من هيئة تحرير الشام. كما أُحدِثت الهيئة العامة للشؤون السياسية ضمن وزارة الخارجية، والتي تشرف على جميع الوزارات ومؤسسات الدولة كافة. فمندوب الهيئة العامة للشؤون السياسية (يُطلق عليه تسمية «الشيخ») حيثما وُجد في مؤسسات وإدارات الدولة له الكلمة الفصل في كل ما يتعلق بشؤونها[2]. بدا من الواضح لكل مُراقب أن الشرع يبني دولة الهيئة / الشرع لا الدولة السورية. لم تحظَ سلطة جديدة في العالم باستقبال ودعم مثلما حصلت عليه سلطة الشرع بهذه السرعة وبهذا القدر من الاعتراف. فقد تقاطرت الوفود العربية والإقليمية والدولية إلى دمشق، مُبارِكةً أو داعمةً للسلطة الجديدة. كان من أبرز عُرَّابِيها: الرئيس الأمريكي دونالد ترامب والأمير محمد بن سلمان (السعودية) والرئيس التركي رجب طيب أردوغان، إضافة لأمير قطر تميم بن حمد. إن هذا الاعتراف والدعم الذي حظي به الشرع (أبو محمد الجولاني) كان ضروريًا أكثر من أي شيء آخر باعتباره مُصنَّفًا على قوائم الإرهاب أمريكيًا ومن قبل مجلس الأمن الدولي. كما منحه شرعية دولية وشعبية في أوساط السوريين. مُعضلات السلطة القائمة في دمشق اليوم

> **أن الشرع يبني دولة الهيئة / الشرع لا الدولة السورية**

تواجه سلطة الشرع اليوم العديد من المشاكل التي تتطلب حلها. بعضها داخلي وأخرى في العلاقات الدولية. وسأحاول ذكر أبرزها:

على الصعيد الداخلي

1 - العدالة الانتقالية

يواجه الشرع ضغوطًا داخلية من منظمات حقوقية ومواطنين يطالبون بمعرفة مصير أبنائهم. يتمثل طلبهم في تأسيس مسار للعدالة الانتقالية عبر تأسيس هيئة مستقلة، تضم خبراء ومنظمات ومحاكم، بالتعاون والدعم من الأمم المتحدة للسير في هذا المسار المعقد والصعب. قام الشرع بتشكيل لجنة دُعيت «هيئة العدالة الانتقالية» من شخصيات لم تتمتع بالكفاءة اللازمة لهذه المهمة، وحصر عملها بالانتهاكات التي وقعت من قبل نظام الأسد فقط. رافضًا اعتبارها مسؤولة عن كشف جميع الانتهاكات سواء التي قام بها النظام الأسدي أو المنظمات العسكرية الأخرى (داعش، القاعدة، جبهة النصرة، هيئة تحرير الشام أو غيرهم من الفصائل المسلحة)، كما استبعد منظمات حقوقية سورية اشتغلت على الموضوع لسنوات طويلة.

2 - النازحون والمُهجَّرون

تتمثل في عودة المُهجَّرين داخل سوريا إلى

منيف ملحم

يعيش في دمشق من مؤسسي حزب العمل الشيوعي في سوريا ومن قادته السابقين أعتقل في زمن الدكتاتور الأب، بين عامي 1981-1997 وفي زمن الدكتاتور الإبن في عامي 2015-2016 .

وما زال يواصل نضاله،

وهو عضو في الأممية الرابعة.

عودة اللاجئين. المصدر: DR.

مدنهم وبيوتهم، والمُقدَّر عددهم بستة ملايين ونصف والذي عاد منهم حتى الآن مليون وستمائة ألف فقط. مدنهم وبيوتهم معظمها مُدمَّر بشكل كامل. والسلطة حتى الآن لم تُبدِ أي تحرك بهذا الاتجاه، بل منعت بعض سكان هذه المدن من العودة وترميمها بأنفسهم تحت حجة إعادة تنظيمها من جديد. تُضاف إليها مشكلة اللاجئين في دول الجوار (لبنان، الأردن)

3 - الوضع المعيشي

قدرت الأمم المتحدة أن حوالي تسعين بالمئة من سكان سوريا يعيشون تحت خط الفقر قبل سقوط النظام الأسدي. ويمكن الآن رؤية الأوضاع بشكل أكثر تدهورًا من خلال ارتفاع أسعار الغاز المنزلي بحدود ستة أضعاف والخبز بحدود ثمانية أضعاف والكهرباء بعد آخر تسعيرة بـ 600 ضعف. كما أن تسريح عشرات الآلاف من الموظفين والعسكريين ترك جيشًا من العاطلين عن العمل. في ظل هذا الوضع، تخرج احتجاجات شعبية في مناطق ومدن متفرقة، ولكنها غير موحدة المطالب وشاملة حتى الآن.

4 - الوضع الأمني

تعيش معظم المدن السورية وضعًا أمنيًا سيئًا للغاية جراء عمليات القتل والخطف والتهجير القسري والموت في المراكز الأمنية للسلطة. فإذا استثنينا المجازر الطائفية التي وقعت بالساحل في 6 آذار / مارس ومجازر السويداء التي وقعت في 14 تموز / يوليو وراح ضحيتها في كل منهما بضعة آلاف من الأبرياء، فإن القتل خارج القانون واختطاف النساء من قبل عصابات السلطة وبمعرفتها ما زالت مستمرة في مدن اللاذقية وطرطوس وحمص وحماة بشكل يومي. يومًا بعد يوم، تزداد الأصوات الرافضة والمُستاءة من سلطة الشرع. لكنها لم تتبلور حول مطالب موحدة، ومازالت متفرقة وغير ممركزة. على الصعيد الخارجي

أصبح معلومًا للجميع أن الجولاني / الشرع تم تأهيله بريطانيًا وأمريكيًا قبل دخوله دمشق بسنوات. وقد جاءت اللحظة المناسبة بعد تدمير غزة وإضعاف حزب الله وإيران. فكلِّفت تركيا، وبموافقة روسيا وإعلام السعودية وقطر وإسرائيل، لتنفيذ هذه الخطة التي هرب فيها الأسد ودخلت «هيئة تحرير الشام» إلى دمشق [3]. كثيرة هي الدول الإقليمية أو الدولية التي ساهمت بشكل مباشر أو غير مباشر بتسليم السلطة من الأسد إلى الجولاني / الشرع. وجميعها لها أحيانًا مصالح مشتركة وأحيانًا أخرى مُتناقضة. ومطلوب من الشرع أن يرضي الجميع وهو شيء صعب - وإن كان أعقدها إرضاء جيران سوريا الأقربين جغرافيًا (تركيا وإسرائيل) - ولذلك تلعب إدارة الرئيس الأمريكي ترامب دور العَرَّاب للتهدئة بينهما من خلال تأمين مصالح كل منهما دون أن يتضح ذلك بشكل فعلي حتى الآن كيف يمكن أن تستقر

عاد منهم حتى الآن مليون وستمائة ألف فقط. مدنهم وبيوتهم معظمها مُدمَّر بشكل كامل

قد يلفت الانتباه الاهتمام والصراع الإقليمي والدولي على سوريا. فسوريا ليست من البلدان الغنية بثرواتها، ولكنها تتموضع في موقع جيو-سياسي يجعلها ساحة للصراع الإقليمي والدولي. عاملان في هذا الموقع هما الأكثر تأثيرًا: الأول: وجود المشروع الصهيوني / الإسرائيلي في فلسطين على خاصرتها الجنوبية، وبالتالي ينصب العمل على الحفاظ على هذا المشروع آمنًا ومستقرًا وقابلًا للتوسع من قبل القوى الإمبريالية في الغرب.

الثاني: موقعها الجغرافي كممر عبور لقوى الطاقة والتجارة من دول الخليج وآسيا إلى الدول الغربية.

يتضح الآن من مجمل السياسات الأمريكية، باعتبارها العامل الرئيس في التحكم بمصير سلطة الشرع تجاه سوريا حاليًا، هو جعل سوريا دولة ضعيفة وفاقدة للسيادة، وهو جوهر الهدف الإسرائيلي.

---

1 ضم مؤتمر النصر الذي عقده الجولاني في قصر الشعب أكثر من 40 فصيلًا مسلحًا. بعضها مُنضوٍ تحت «هيئة تحرير الشام» وبعضها يتبع تركيا تحت اسم «الجيش الوطني السوري» وآخرين انضموا إليها بعد بدء العمليات العسكرية التي أُطلق عليها اسم «ردع العدوان».

2 «الشيخ» احتل بمهامه مكان مندوب حزب البعث في مرحلة سيطرة الأسد.

3 يتواجد على الأرض السورية، إضافة لاحتلال الجولان من قبل إسرائيل: قوات تركية في الشمال السوري.
قواعد عسكرية لروسيا في اللاذقية وطرطوس والقامشلي.
قواعد أمريكية في شمال وشرق سوريا (مع الحديث عن قاعدة جديدة لها قرب دمشق).
قاعدة عسكرية للتحالف الدولي في التنف (في المثلث الحدودي - الأردن، العراق، سوريا).

الاتحادات والنقابات[4]

منذ سيطرة حزب البعث على السلطة في عام 1963، حاول حزب البعث السيطرة على نشاط وهيئات الاتحادات الشعبية (العمال، الفلاحين، الشبيبة، الطلبة، المرأة... الخ)[5]. ولكن ظل إمكانية وجود قوى أو شخصيات غير بعثية ضمن هذه الهيئات ممكنًا ما دام الأمر يجري وفق انتخابات حرة وديمقراطية نسبيًا. أما النقابات المهنية (أطباء، محامين، مهندسين.... الخ) فقد ظل الأمر يجري بحرية أكبر حتى في ظل سيطرة الأسد على السلطة حتى عام 1979[6].

هذا الوضع من إعطاء هامش للاتحادات والنقابات المهنية لاختيار مجالسها وممثليها والذي رافقها حتى نهاية السبعينيات من القرن الماضي قد انتهى في تموز عام 1979، بعد أن احتدم الصراع الدموي بين الإخوان المسلمين والنظام على أثر ما عُرف بمجزة مدرسة المدفعية التي ارتكبها الإخوان المسلمون[7]. أصدر رئيس الجمهورية حافظ الأسد قرارًا بحل كل المجالس النقابية وتعيين مجالس بديلة موالية للنظام. وقد استمر العمل على هذا النهج مع بعض الإجراءات «الديمقراطية» في عملية اختيار المجالس حتى سقوط النظام وسيطرة «هيئة تحرير الشام». حيث قام الشرع بحل كل المجالس النقابية وتعيين مجالس جديدة من أنصاره [8].

مقاتلو ومقاتلات وحدات حماية الشعب (YPG) في شمال الرقة على متن شاحنة مزودة بمدفع 2-ZU-23. 3. نوفمبر 2015. VOA، ملكية عامة.

الأحزاب والقوى السياسية

هناك ميزتان رافقت الساحة السياسية السورية منذ فشل تجربة الوحدة السورية-المصرية وسيطرة حزب البعث على السلطة في عام 1963: الأولى: أنه لم تُؤسَّس أي أحزاب أو حتى تيارات ليبرالية قبل العقد الأول من الألفية الجديدة.

الثانية: أن جميع الأحزاب التي كانت موجودة في ذلك التاريخ -1963- فكانت إما قومية يسارية أو يسارية شيوعية، بالإضافة إلى حركة الإخوان المسلمين. وهي بمجملها لم تزد عن أصابع اليد الواحدة إلا قليلًا. ولم تنشأ أي أحزاب جديدة بعد ذلك التاريخ وإنما تكاثرت بالانقسام – مع الحفاظ على الاسم - دون ميزات جوهرية فيما بينها سواء كانت قومية أو يسارية شيوعية، ما عدا معارضتها أو تحالفها مع الديكتاتورية الأسدية – الاستثناء الوحيد هو تأسيس حزب العمل الشيوعي عام 1976- جميع هذه الأحزاب في المعارضة تعرضت للقمع بنسب متفاوتة خلال أكثر من نصف قرن، ولا سيما إبان المرحلة الأسدية [9].

> **أن جميع الأحزاب التي كانت موجودة في ذلك التاريخ –1963– فكانت إما قومية يسارية أو يسارية شيوعية،**

بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، تابعت انقسامها أو تفككها وتحولاتها الليبرالية، وهو ما زاد من ضعفها وتأثيرها في الحياة السياسية. في عام 2005، حاولت هذه الأحزاب المعارضة توحيد صفوفها فيما عُرف حينها بـ «إعلان دمشق»[10]. عادت وتفتت بعد انضمام الإخوان المسلمين إلى هذا التجمع وخروج التيارات اليسارية القومية منها والشيوعية.

بعد انطلاقة الثورة في عام 2011، جرت محاولة لتوحيد القوى والأحزاب المعارضة، ولكنها باءت بالفشل. إذ رفضت التيارات السياسية الليبرالية الانضمام مع التيارات اليسارية القومية والشيوعية وشكلت المجلس الوطني السوري الذي سيطر عليه الإخوان المسلمون. بينما شكلت القوى القومية واليسارية ما عُرف بـ «هيئة التنسيق الوطني للتغيير الديمقراطي».

بعد عام 2012 وسيطرة القوى المسلحة السلفية والجهادية على المشهد العسكري والسياسي، بدعم وتمويل من الدول الخليجية وحضور تدخلات دولية عديدة في الحرب السورية، استطاعت ان تجعل القوى المعارضة رهن اجندة هذه الدول. لم يعد للقوى السياسية أي فعالية حقيقية على الأرض. في هذا المشهد الذي وصلت إليه القوى السياسية «القديمة»، ومع تزايد الهجرة والهروب من القمع الذي وصل إلى حد التوحُّش من قبل الأجهزة الأمنية للنظام، أصبح معظم الناشطين السياسيين وأفراد هذه الأحزاب خارج الساحة السورية. ومن هذا الوضع انبثقت العديد من الأحزاب والتكتلات الجديدة المعارضة التي تبنت الليبرالية كمنهج وإيديولوجيا لها، حتى صار من الصعب معرفة عددها او أسماءها.

هكذا بدت الساحة السياسية السورية ليلة سقوط دمشق بيد «هيئة تحرير الشام». يمكن اليوم رسم الموقف من رئيس المرحلة الانتقالية أحمد الشرع وسلطته شعبيًا وقوى سياسية ونُخبًا كما يلي:

هناك تيار شعبي كبير يدعم الشرع وسلطته، ويتركز في الأرياف والمدن الصغرى مُشكِّلًا الرديف الشعبي والعسكري للشرع. وكذلك يتلقى دعم وتأييد المُهجَّرين في الخارج وقواته على صفحات التواصل الاجتماعي. كما أن أحزابًا وقوى ونخبًا سياسية قديمة رافقت انطلاقة الثورة في جميع مراحل الصراع والحرب وكانت قريبة من الإخوان المسلمين، ولم تُظهِر نقدًا للفصائل العسكرية السلفية أو حتى الجهادية حينها، تؤيد الشرع تحت شعار لا بديل للشرع.

التيار الثاني هو تيار سياسي وحزبي ومنظمات مدنية يُعلن معارضته للشرع وسلطته. يجمع بين

أحزاب قديمة وجديدة ليبرالية. ويعمل على تشكيل تحالفات سياسية لمواجهة مشروع الشرع في بناء نظام استبدادي. أبرزها حتى الآن في داخل سوريا: تحالف «تماسُك» (تحالف المواطنة السورية المتساوية) الذي يضم أكثر من ثلاثين حزبًا ومنظمة مدنية، والكتلة الوطنية السورية التي أُعلن عن تأسيسها في الخارج، باعتبارها تكتلًا سياسيًا مدنيًا ديمقراطيًا. التيار الثالث هو «تيار الرماديين» حتى الآن. وهو تيار شعبي يتركز في المدن الكبرى - العاصمة دمشق وحلب - ويضم كل الذين اعتادوا على حياة اجتماعية منفتحة وبعض أصحاب المهن والورشات الصغيرة التي تضررت من الانفتاح الاقتصادي والتحولات الليبرالية الجديدة المتطرفة. كما يضم نُخبًا سياسية وفكرية، تنتقد الوضع الجديد ولكنها لا تُعلن معارضتها له.

قوات سوريا الديمقراطية «قسد»

أحد أكبر معضلات الشرع

إذا استطاع الشرع السيطرة خلال الأشهر الماضية على أكثر من نصف مساحة سوريا بشكل هادئ نسبيًا، فإن ثلاث مناطق ما زالت السيطرة عليها تشكل معضلة لسيطرة الشرع.

الساحل السوري (العلويون) : التي يتم السيطرة عليه - ولا سيما بعد مجازر شهر آذار الماضي - من خلال استمرار القتل والاعتقال والخطف والترويع. السويداء في الجنوب: التي عرفت مجزرة في شهر تموز الماضي، فإنها اليوم تقع تحت حصار خانق لسلطة الشرع، مُعلِنة انفصالها عن الدولة السورية.

المنطقة الواقعة في شمال وشرق سوريا (الجزيرة السورية). والتي تضم معظم الثروات السورية (النفط، الغاز، الحبوب) وأكثر من ربع مساحة سوريا بيد «قسد»، وهي بذلك تشكل المعضلة الأكبر لسلطة الشرع.

أجرت «قسد» مفاوضات عديدة مع النظام الأسدي للوصول إلى صيغة يقبل بها النظام لشكل من الإدارة لمناطق سيطرتها. ولكن جميع هذه المحاولات باءت بالفشل

تأسيس «قسد»

في بداية الثمانينيات من القرن الماضي، شكلت سوريا إبان حكم الأسد الأب قاعدة لوجستية لحزب العمال الكردستاني PKK (تدريب مقاتلين، تمويل، تسليح). انتهى شهر العسل بين نظام حافظ الأسد وعبد الله أوجلان في 22 تشرين الأول عام 1998 بتوقيع اتفاقية مع تركيا، تضمنت بالإضافة لبنود أخرى طرد عبد الله أوجلان من سوريا ومنع نشاط حزبه واعتقال أعضائه (اعتقل أوجلان في عام 1999 في نيروبي من قبل السلطات التركية). عاد حزب العمال الكردستاني PKK في عام 2003 بتأسيس حزب الاتحاد الديمقراطي في سوريا PYD كامتداد له في سوريا، ولكن السلطات السورية لاحقته واعتقلت العديد من أنصاره.

عندما انطلقت الثورة السورية عام 2011، شاركت المنظمات والأحزاب الكردية في التظاهرات - في مناطق تواجد الأكراد - التي شملت معظم المناطق السورية. ولكن حزب الاتحاد الديمقراطي تدخل في الاحتجاجات ضد المتظاهرين ومارس عمليات قمع ضدهم ورفع علم كردستان بدلاً من علم الثورة. وبدأ توافد الناشطين والمقاتلين من حزب العمال الكردستاني من تركيا وقنديل إلى شمال وشرق سوريا لدعم الفرع السوري.

بدءًا من عام 2012، سيطرت مجموعة من الفصائل العسكرية السلفية منها والجهادية على مساحة واسعة وبعض المدن من الجزيرة السورية. وأمام عجز النظام عن مواجهة هذه التنظيمات، أعطى حزب الاتحاد الديمقراطي حرية في العمل، مع تسليم كثير من المواقع ومدّه بالسلاح.

كانت معركة عين العرب (كوباني) هي النقطة الأبرز لظهور قوات سوريا الديمقراطية «قسد». فقد حاصر تنظيم الدولة مدينة عين العرب (كوباني) ذات الأغلبية الكردية، ولكن مقاتلي وحدات حماية الشعب الكردية تصدت لهم واستطاعت هزيمتهم بدعم من التحالف الدولي لمكافحة «الإرهاب». بالاتفاق مع الأمريكيين، أصبحت القوات الكردية لحزب الاتحاد الديمقراطي جزءًا من التحالف الدولي لمكافحة الإرهاب، على أن ينحصر عملها في هذه المهمة دون خوض أي معارك مع النظام السوري. هكذا تأسست «قسد» والتي ضمت لاحقًا بين صفوفها الكثير من المقاتلين والتنظيمات العسكرية من عرب وآشوريين

---

4 في الميثاق الذي أُسِّس بموجبه «الجبهة الوطنية التقدمية في سوريا» عام 1974، التي حكمت سوريا لما يقارب نصف قرن، مُنع نشاط أي حزبي ما عدا حزب البعث العربي في منظمات الشبيبة والطلبة.

5 في عام 1974، كنت أعمل في مصنع الجرارات (حلب). انتقلت إلى معمل المحركات الكهربائية في اللاذقية كعامل فني. خلال أشهر، استطعت تشكيل خلية عمالية ماركسية. وحدث أن جرت انتخابات للجنة النقابية في المعمل. وعندما جرى الترشيح، قمنا بترشيح مندوب لنا في النقابة، ولكن لم نحصل سوى على 16 صوتًا - لا يزيد عمال المعمل عن مئة عامل -. وهكذا خسرنا الانتخابات. في عام 1976، تمت دورة جديدة لانتخاب اللجنة النقابية، فقمنا بترشيح قائمة في مواجهة قائمة السلطة. لقد خسرنا الانتخابات لكن بفارق صوت واحد. صحيح كانت هناك ضغوط كبيرة على العمال، ولكن جرت الانتخابات بنزاهة. بعد انتهاء الانتخابات، تعرضت لهجوم دامٍ من قبل أزلام مدير المصنع، لكن القرار لم يكن أمنيًا من النظام وإنما رد شخصي من المدير

6 يُعتبر «إعلان دمشق» أكبر وأوسع تحالف للقوى السياسية ومنظمات وجمعيات وشخصيات وطنية معارضة في تاريخ الدولة السورية بعد الاستقلال. وقد سيطر عليه التحالف الليبرالي الذي برز من خلال أحزاب شيوعية سابقًا وشخصيات شيوعية تركت أحزابها وتحولت إلى الليبرالية.

7 في تموز 1979، قامت مجموعة من تنظيم ما عُرف حينها «بالطليعة» المقاتلة للإخوان المسلمين بالهجوم على مدرسة المدفعية لطلاب الضباط. تم إعدام حوالي ستين طالب ضابط (علوي)، وذلك من خلال تعاون الضابط المناوب في المدرسة مع المهاجمين.

8 راجع الهامش (4).

9 كان حزب العمل الشيوعي أكثر الأحزاب اليسارية تعرضًا للقمع. فقد توالت حملات القمع والاعتقال منذ السنة الأولى لتأسيسه عام 1976 وحتى توقفه عن النشاط عام 1992، حيث تم اعتقال أكثر من 1500 رفيق ورفيقة بلغت سنوات اعتقال بعضهم أكثر من 16 عامًا

10 يُعتبر «إعلان دمشق» أكبر وأوسع تحالف للقوى السياسية ومنظمات وجمعيات وشخصيات وطنية معارضة في تاريخ الدولة السورية بعد الاستقلال. وقد سيطر عليه التحالف الليبرالي الذي برز من خلال أحزاب شيوعية سابقًا وشخصيات شيوعية تركت أحزابها وتحولت إلى الليبرالية.

وسريان و يزيدين، بعد أن كانت مقتصرة على الأكراد فقط. لقد استطاعت «قسد» تطهير الجزيرة السورية من تنظيم الدولة، مُقدِّمة الآلاف من مقاتليها في هذه المواجهة.

ماذا تريد «قسد» اليوم؟

مسيرة ما يقارب عقد من الكفاح في السنوات الأولى لحضور حزب الاتحاد الديمقراطي في الصراع العسكري وسيطرته فقط على المناطق ذات الأغلبية الكردية، من خلال وحدات حماية الشعب الكردية وقبل أن يُعلن عن تأسيس قوات سورية الديمقراطية «قسد» في عام 2015، أطلق الحزب على المناطق التي سيطر عليها اسم «روجآفا» (كردستان الغربية). وقد اعتُبرت دعوة للانفصال، وأثارت رفض قطاعات واسعة من السوريين.

ولكن بعد السيطرة على كامل الجزيرة السورية أثناء ملاحقته لمقاتلي «الدولة الاسلامية» وحضور القواعد العسكرية الأمريكية في أكثر من نقطة ودخوله التحالف الدولي ضد الإرهاب، تخلت عن اسم «روجآفا» مُستخدمة تسمية أصبحت حاضرة في وسائل الإعلام: مناطق «شمال وشرق سوريا». وأصبح التركيز في سياسته على الوصول إلى اتفاق مع النظام الأسدي سابقًا أو مع سلطة الجولاني / الشرع حاليًا، يُعطي لمناطق سيطرتها شكلًا من الإدارة اللامركزية (تطمح أن تكون شكلًا من الفدرالية).

على مدار عقد من السنوات قبل سقوط الأسد، أجرت «قسد» مفاوضات عديدة مع النظام الأسدي للوصول إلى صيغة يقبل بها النظام لشكل من الإدارة لمناطق سيطرتها. ولكن جميع هذه المحاولات باءت بالفشل.

بعد سقوط النظام الأسدي وقيام السلطة الانتقالية / الشرع، وقّعت «قسد» مع الشرع في 10 آذار اتفاقية لدمج قوات «قسد» مع قوات الحكومة الانتقالية / الشرع برعاية أمريكية. ومنذ ذلك التاريخ وحتى اليوم، لم تتم أي خطوة في هذا الاتجاه. باعتقادي وفي ظل الدعم والثقة الأمريكية بـ«قسد»، لن تتخلى عن هدفها لإقامة كيان لها في «شمال وشرق سوريا» قريباً من شكل الكيان الذي أقامه الأكراد شمال العراق.

كلمة أخيرة حول «قسد»: من المفاوضات مع النظام الأسدي خلال العقد الماضي، إلى مفاوضاتها اليوم مع الشرع، فإنها غير معنية بشكل أو طبيعة الحكم القائم في دمشق. وهدفها يبقى ما يمكن أن تحصل عليه كحركة قومية كردية. أما أن يُستفاد من قوتها لبناء دولة سورية حديثة تقوم على احترام كل مكوناتها، دولة مدنية ديمقراطية علمانية تقف على مسافة واحدة من جميع مواطنيها، دولة حقوق وقانون ومؤسسات مستقلة، فهذا ليس من أجندة قسد. وهو ما لا يتعارض مع أهداف كل القوى الإقليمية والدولية الحاضرة في سوريا اليوم باستثناء تركيا.

إن تركيا هي الطرف الوحيد من بين كل الدول الإقليمية والدولية التي ساهمت بشكل فعلي بوصول الشرع إلى دمشق. تركيا ترى في مشروع «قسد» خطرًا وتهديدًا لأمنها القومي. ما بين الضغوط التركية على الشرع لمنع قيام كيان كردي على حدودها والضغوط الأمريكية عليه، يقف الشرع عاجزًا عن القيام بأي عمل عسكري في مواجهة «قسد». ولا سيما أن قواتها قادرة على هزيمته حتى إن لم تتدخل أمريكا بشكل مباشر إلى جانبها. وهنا يكمن أكبر معضلات الشرع لبسط سيطرته على كامل التراب السوري الذي استلمه من الأسد.

خارج الصندوق جيل Z السوري

نظرًا لكون ثلث سكان سوريا عاشوا في مخيمات النزوح داخل سوريا وفي لبنان والأردن، فإن هذا الجيل لم يعرف إلا الفقر والتشرد والحرمان والقهر وفقدان التعليم وعاطلًا عن العمل. لذلك فهم اليوم أحد عناصر قوات الشرع سواء بالجيش أو الأمن أو بعض المواقع المدنية لدولة الشرع. محتفظةً محافظة ادلب - حيث اقام الجولاني امارته لعقد من السنوات - بالحصة الأكبر سواء داخل الجيش او الامن او المواقع الأخرى من مؤسسات السلطة، بما فيها النقابات.

أما الثلث الآخر التي استطاعت عائلتهم مغادرة سوريا إلى بلدان اللجوء ولا سيما أوروبا وكندا وأستراليا وغيرها، فإن ارتباطهم بسوريا أصبح ضعيفًا ويقتصر على مواقع التواصل ليس أكثر. وباعتبارهم غادروا في العقد الأول من العمر، فإن اندماجهم كان سريعًا في موطنهم الجديد.

يبقى الثلث الأخير الذي نشأ وكبر في مناطق سيطرة الأسد، مع كل الظروف الصعبة والخوف الدائم سنوات الحرب، فجل اهتمامهم بعد أن أكمل دراسته أن يغادر إلى حيث يوجد عمل يؤمن له مستقبلًا، بعد أن سُدت أبواب المستقبل أمامه ليس فقط أيام الأسد وإنما اليوم في أيام الشرع. ■

4 ديسمبر 2025

الأوليغارشيات الحديثة والقديمة: التحوُّلات في نمط تراكم رأس المال

في ظلِّ الصعود الواضح لشركات التكنولوجيا الكبرى وقادتها إلى مراكز النفوذ السياسي في بلدان عدة، بات ضروريا فهم الأسس التي تقوم عليها هذه الحركة وتبعاتها بصورة كاملة، وكذا طبيعة ارتباطها بأشكال أخرى للسلطة الاقتصادية والسياسية.

بقلم : ديوغو ماتشادو Diogo Machado
وفرانسيسكو لوسا Francisco Louçã

ناقش ماركس باستفاضة قدرة الرأسمالية الفريدة على تطوير قوى الإنتاج، حيث يدفع التنافس المحتدم بين الرأسماليين إلى الابتكار المستمر في سيرورة الإنتاج، ما يؤدي إلى ارتفاع التركيب العضوي لرأس المال». كما خلص إلى أن التنافس يؤدي إلى ميل نحو تركز الشركات. في هذا الصدد، يوضح إرنست ماندل:

«يؤدي تطور نمط الإنتاج الرأسمالي إذن بالضرورة إلى تركز رأس المال وتمركزه. فمعدل حجم الشركات يتزايد باستمرار، وتُقهَر أعداد كبيرة من الشركات الصغيرة في ساحات التنافس أمام حفنة من الشركات العملاقة التي تسيطر على حصة متنامية من رأس المال والعمل والملكية والإنتاج في قطاعات صناعية بأكملها. [...] هكذا، تستمر المنافسة الرأسمالية في سيرورة نزع الملكية التي كانت أساس نشوء نمط الإنتاج الرأسمالي ذاته. [...] إن تاريخ رأس المال هو تاريخ تدمير ملكية الغالبية العظمى، لصالح ملكية أقلية تتناقص أعدادها باستمرار»([1])

تاريخيًا، نلاحظ أن الرأسمالية أدت إلى تطور تكنولوجي هائل وإنتاج كميات ضخمة من السلع المادية وغير المادية. غير أن سيرورة نمو الإنتاج هذه، ولَّدت بدورها توترات اقتصادية واجتماعية. يتناول هذا المقال بإيجاز أحد مظاهر هذه الحركة، وهو التطور الحديث في تشكُّل البرجوازية، مشيرًا إلى أن الخمسين عامًا الماضية شهدت نموًا ضعيفًا نسبيًا تميز بانخفاض الاستثمارات وزيادات متواضعة في الإنتاجية، وهو ما يُعرف باسم «الركود المزمن». نحن إذن، أمام أزمة في تراكم رأس المال، ترافقها في الوقت ذاته عملية تركيز هائلة للثروة. وهاتان السمتان تُشكلان الإطار العام للتطور الحالي للرأسمالية الشائخة.

ديوغو ماتشادو
ديوغو ماتشادو، باحث في العلاقات الدولية وأحد مناضلي «كتلة اليسار» (Bloco de Esquerda) والأممية الرابعة في البرتغال.

نُشرت هذه المقالة على موقع Viento sur. المقالة الى الفرنسية بالتعاون مع موقع A L'encontre وتدقيقها من قبل الكاتبين.

> **نحن إذن، أمام أزمة في تراكم رأس المال، ترافقها في الوقت ذاته عملية تركيز هائلة للثروة. وهاتان السمتان تُشكلان الإطار العام للتطور الحالي للرأسمالية الشائخة**

تركز الشركات وقوتها الاجتماعية والسياسية

سنتناول لاحقًا الأسباب الكامنة وراء أداء الرأسمالية في هذه المرحلة. أما الآن، فمن المهم تسليط الضوء على سمة جوهرية لهذه الفترة، وهي مفتاح لفهم الرأسمالية المعاصرة: تركز الشركات الشديد. تؤكد دراسات عديدة، لا سيما تلك الصادرة عن منظمات مثل صندوق النقد الدولي([2])، هذه السمة عبر مؤشرات مختلفة، أبرزها ارتفاع هوامش الشركات وأرباحها، التي تستأثر بها بشكل أساسي شركات كبرى قليلة العدد:

«تكمن النتيجة الرئيسية ليس فقط في ارتفاع الهامش الإجمالي، بل في التغيُّر الذي طرأ

1 إرنست ماندل، مدخل إلى النظرية الاقتصادية الماركسية، 1975.

2 فيديريكو ج. ديز، تامبونليرتشاي دانيال لي، سوكانان Federico J. Diez Tambunlertchai, Daniel Leigh,Suchanan، «القوة السوقية العالمية وآثارها على الاقتصاد الكلي»، صندوق النقد الدولي، 15 يونيو 2018؛ وينجي تشين، فيليغاس-سانشيز، فيديريكو ج. ديز، رومان أ. دوفال، فيليب إنغلر، جيايو فان، كيارا ماجي، مارينا ميندز تافاريس، دانيال أ. شوارتز، إيبي شيباتا، كارولينا، «تصاعد القوة السوقية للشركات: قضايا سياساتية ناشئة»، صندوق النقد الدولي، 15 مارس 2021.

على توزيع هذه الهوامش: فبينما ظل المتوسط ثابتًا، ارتفعت القيم المئوية العليا بشكل كبير. يتمتع عدد محدود من الشركات بهامش ربحي مرتفع وهي ذات حجم كبير، بينما لا تشهد الغالبية العظمى من الشركات أي تحسُّن في هوامشها وتفقد حصتها من السوق» ([3]).

تُظهر البيانات الإحصائية الآثار السلبية لهذه الظاهرة على الاقتصاد الكلي، لا سيما انخفاض الاستثمار والشغل وحصة الأجور من الدخل القومي. كما تمنح قوة سوقية ([4]) غير مسبوقة لهذه الشركات القليلة، تمكنها من فرض أسعار أعلى من تلك السائدة في السوق التنافسية. وهذا ما يمكن وصفه بـ«الدخل» بالمفهوم (النيو)كلاسيكي، أو ما أسماه الاقتصادي كاليكي «الهامش الربحي»([5]). سبق للمدرسة الماركسية، في إطار نظرية «رأس المال الاحتكاري»، أن أبرزت هذه التطورات: فالقدرة الإنتاجية الفائضة لدى الشركات العملاقة، مقترنة بزيادة التركيب العضوي لرأس المال الذي يقلل فرص الشغل ويخفض الاستهلاك، تؤدي إلى «تراكم زائد» أو صعوبة في استيعاب الفوائض بسبب ندرة فرص الاستثمار المنتج، وهو ما يقود بدوره إلى ركود اقتصادي. ([6])

مع ذلك، تبقى هذه الرؤية غير كافية لفهم آليات التراكم المعاصرة، وذلك لسببين رئيسيين على الأقل. أولاً: إذا كان الاحتكار سمة أساسية للرأسمالية الحالية، فهو ليس الوحيدة؛ فهناك أبعاد أخرى بالغة الأهمية، لا سيما تطور منطق التراكم ذاته خلال الحقبة النيوليبرالية. ثانيًا: من الضروري تجاوز المنظور الاقتصادي المحض لرأسمالية الاحتكارات. فمع تركيز هذه الشركات لقوة سوقية غير مسبوقة تاريخيًا، فإنها تكتسب أيضًا نفوذًا اجتماعيًا وسلطة سياسية هائلة. وصف ماركس (وغيره من الاقتصاديين قبله) هذه السيرورة، لكنها اتخذت أبعادًا جديدة تُحدِّد اليوم شكل التنظيم الاجتماعي ذاته: فبعض هذه الشركات، التي سنتطرق إليها لاحقًا، تُشكِّل العلاقات الاجتماعية على نطاق شبه عالمي، وتشابكها المتزايد مع السلطة السياسية بات عنصرًا جوهريًا في نظام تراكمها. بكلمات أخرى، باتت الأوليغارشية سمة حاسمة في بنية الرأسمالية الراهنة.

يهدف هذا المقال إلى تطوير زاوية التحليل هذه، عبر استعراض موجز لتطور منطق التراكم في العقود الأخيرة، وتسليط الضوء على تأثير هذه التحولات في ازدهار قطاعات جديدة (وقديمة) من رأس المال، ورسم ملامح لحدود هذه القطاعات ومصالحها وتناقضاتها. ويهدف ذلك إلى استخلاص قطاعي رأس المال اللذين برزا نتيجة لهذا التطور، وهما: مديرو الأصول (Asset Managers) وأوليغارشيو التكنولوجيا. نختتم المقال ببعض الأفكار حول أهمية هذه السيرورات لفهم طبيعة الرأسمالية المعاصرة.

نهاية العولمة وموجات التطور الرأسمالي الطويلة

يتماشى «الركود المزمن» مع المرحلة الانكماشية للموجة الطويلة الرابعة من التطور الرأسمالي، ولكنه يتميز بخصائص غير مسبوقة، خاصة من حيث مدته. فبينما تُوثِّق البيانات المجمعة وبيانات القطاعات الأكثر دينامية مرحلة التوسع في هذه الموجة خلال «الثلاثين عامًا المجيدة» بعد الحرب العالمية الثانية (كما في صناعات السيارات والكيماويات والصلب والسلع الاستهلاكية المعمرة)، يثير ما حدث بعد استنفاد هذا الزخم جدلاً أكبر.

فرانسيسكو لوسا
اقتصادي ومناضل في حزب بلوكو دي إسكويردا (كتلة اليسار) في البرتغال، وفي الأممية الرابعة.

رأى بعض الكُتَّاب انتعاشًا في الثمانينيات مع العولمة، ولكن الحقيقة تُظهر أن معدلات الربح لم تتعافَ بشكل كبير. وحتى عندما ارتفعت، لم تُفضِ إلى نمو استثماري حقيقي. تتجلَّى أزمة التراكم في انخفاض معدل الربح وضعف مستوى الاستثمار. تجدر الإشارة إلى أن هذه السيرورة تتنوع بشكل كبير: ففي عام 2024، بلغ معدل العائد على رأس المال للمقاولات الكبيرة في الولايات المتحدة حوالي 12%، بينما لم يتجاوز 4 % للمقاولات الصغرى.

الرأسمالية الاحتكارية للدولة، 1976، يُكسل أرصلان.

مع ذلك، شهدت هذه السنوات ابتكارات تكنولوجية كبرى. لم تُنتج هذه الابتكارات سلعًا وقطاعات جديدة فحسب (كالهاتف الذكي أو «الميتافيرس» والذكاء الاصطناعي)، بل أحدثت تحولاً في سيرورات الإنتاج نفسها (كالروبوتات). سمحت هذه التحولات بظهور صناعات وشركات جديدة، ما مهَّد الطريق لبروز شرائح جديدة من البرجوازية وهو ما سنناقشه لاحقًا. لكنها فشلت في استعادة مستويات التراكم والاستثمار السابقة.

ناقشنا أسباب هذا «الركود الطويل» رغم الابتكار التكنولوجي في مقال سابق ([7]). وهنا، يجب التأكيد على أن هذه الظاهرة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بعملية «أمولة» الاقتصادات وصعود القطاع المالي ليصبح القطاع المسيطر. نما القطاع المالي نتيجة السياسات النيوليبرالية منذ سبعينيات القرن الماضي، كتحرير أسعار الصرف وحرية تداول الرساميل ورفع القيود عن القطاع المالي بشكل عام، ولكنه يعكس في الوقت ذاته استنفاد زخم الاقتصادات المتقدمة الإنتاجي. ردًّا على ذلك، انتقلت الشركات إلى مناطق تتوفر فيها يد عاملة رخيصة، وأعادت توجيه أرباحها نحو الاستثمارات المالية المجزية جدا أعلى من الاستثمارات الإنتاجية ([8]). انتشرت المنتجات المالية المعقدة وغير الشفافة، واستُخدم الائتمان الجماهيري لتحفيز الطلب الذي خبا بسبب ركود الأجور. حقَّق كل ذلك أرباحًا هائلة للقطاع المالي، لكن الثقل القاتل لرأس المال الوهمي في الاقتصادات المتقدمة تجلَّى بوضوح إبان أزمة 2008-2007 المالية.

النشاط النقدي وإعادة تشكيل رأس المال

أثَّرت أزمة الرهن العقاري بشدة على هيمنة القطاع المالي التقليدي لسببين رئيسيين. أولاً، أدَّى إفلاس البنوك وتراكم الديون المشكوك في تحصيلها وتشديد القيود التنظيمية بعد الأزمة إلى انخفاض ربحية القطاع. ثانياً، شهدت السياسة النقدية للبنوك المركزية تحولاً جذرياً، حيث انتقلت من حقبة أسعار الفائدة المرتفعة التي بدأت بـ «صدمة فولكر» ([9]) إلى سنوات طويلة من أسعار فائدة مرجعية منخفضة وبرامج ضخمة لشراء الأصول (التيسير الكمي) لمواجهة صدمات الركود. ساهم ذلك في تشكيل أوليغارشية جديدة تضم مديري الأصول وشركاتهم المالية وأوليغارشيِّي التكنولوجيا. وهذا ما سيجري تناوله في الأقسام التالية.

مع ذلك، لا ينبغي التسرُّعَ في إعلان نهاية هيمنة القطاع المالي التقليدي. فبعد الأزمة، شهد القطاع المصرفي تركيزاً قوياً، حيث قامت البنوك الكبرى بشراء ودمج البنوك الصغيرة المفلسة، ما شكَّل تكتلات ضخمة. وكما يُوضِّح بريت كريستوفرز Brett Christophers، فإن تعزيز القوة السوقية للبنوك سمح لها بعدم تمرير انخفاض أسعار الفائدة بالكامل إلى عملائها، ما خفَّف من تأثير السياسة النقدية التوسعية الجديدة ([10]). من ناحية أخرى، أدَّت هذه السياسة إلى ارتفاع كبير في قيمة الأصول المالية عموما، وهو ما استفادت منه البنوك أيضاً في أنشطتها التجارية الداخلية، لأن هذا «النشاط النقدي» دعم أسواق الأسهم والسندات.

> **لا ينبغي التسرُّعَ في إعلان نهاية هيمنة القطاع المالي التقليدي. فبعد الأزمة، شهد القطاع المصرفي تركيزاً قوياً، حيث قامت البنوك الكبرى بشراء ودمج البنوك الصغيرة المفلسة، ما شكَّل تكتلات ضخمة**

يُبرِزُ هذا المثال الأخير سمة أساسية لنظام التراكم بعد الأزمة: تضخم أسعار الأصول. يُعَدُّ هذا التضخم نتيجة مباشرة لضخ البنوك المركزية لسيولة ضخمة في الأسواق. وقد أدَّى انخفاض الطلب العالمي، بسبب ركود الأجور الحقيقية الناتج عن سياسات التقشف، إلى مزيد من انخفاض ربحية رأس المال الإنتاجي، ما حفَّز المضاربة المالية التي تدرُّ دخلا بواسطة تقييم الأصول المالية وتداولها وليس عبر الاستثمار الإنتاجي. وبالمثل، يحفِّز هذا التطور إنشاء وتكاثر الشركات المالية التي تستغل هذه الثروة. وهكذا، اتَّجه تدفق السيولة النقدية الذي وفَّرته البنوك المركزية نحو الاستفادة من تضخم أسعار الأصول بدل تمويل الاستثمارات الإنتاجية.

وفي هذا السياق، إذا كان صحيحاً أن التمويل ظلَّ الشكل السائد للتراكم، فمن الصحيح أيضاً أن منطقه تغيَّر نوعياً. بعد أزمة الرهن العقاري، احتاج المستثمرون إلى أصول جديدة بسبب موجة حبس الرهون العقارية، التي شكَّلت «مادة خام» مهمة للنظام المالي. في هذا الإطار، تحوَّل السكن في جميع أنحاء العالم الغربي تقريباً إلى أحد الأصول المالية بامتياز، حيث يوفِّر عوائد استثنائية.

---

3 يان دي لوكر، يان إيكهوت، وغابرييل أونغر، «صعود القوة السوقية وتداعياته على الاقتصاد الكلي»، The Quarterly Journal of Economics، المجلد 135، العدد 2، مايو 2020.

4 تُعرَّف القوة السوقية بأنها قدرة شركة أو مجموعة شركات على التأثير في الأسعار أو الكميات أو شروط التبادل داخل السوق، ولا سيما فرض أسعار أعلى بشكل مستدام من تلك التي تسود في ظل المنافسة، نتيجة التركّز، أو الحواجز أمام الدخول، أو السيطرة المتزايدة على العرض.

5 بريت كريستوفرز، الطبقة، والأصول، والعمل في الرأسمالية الريعية، 19 مارس 2021، دار بريل؛ ميشال كاليكي، مختارات من المقالات حول ديناميات الاقتصاد الرأسمالي (1933–1970)، كامبريدج، 1971.

6 جون بيلامي فوستر، «رأس المال الاحتكاري بعد نصف قرن»، Monthly Review، 2016؛ بول أ. باران وبول م. سويزي، رأس المال الاحتكاري: مقال في المجتمع الصناعي الأمريكي، 1966، ماسبيرو (1968).

7 فرانسيسكو لوسا، «مع مرور الوقت: لماذا تطول الموجة الطويلة إلى هذا الحد؟»، Journal of Evolutionary Economics، المجلد 31، يوليو 2021.

8 سيدريك دوران، «هل انتهت الهيمنة المالية؟»، New Left Review، العدد 138، 2022؛ ويليام لازونيك، «الوضع الطبيعي الجديد هو تعظيم قيمة المساهمين: الاستخراج المفترس للقيمة، تباطؤ الإنتاجية، واختفاء الطبقة الوسطى الأمريكية»، المجلة الدولية للاقتصاد السياسي، 2 أكتوبر 2017.

9 تشير «صدمة فولكر» إلى السياسة النقدية التقييدية التي قادها بول فولكر بين عامي 1979 و1982، عقب تعيينه رئيساً لمجلس الاحتياطي الفيدرالي في 6 أغسطس 1979. وقد جاءت استجابة للصدمة النفطية الثانية في أواخر 1979، وأسهمت في خفض التضخم في الولايات المتحدة، لكنها تسببت في ركود عميق عام 1982، مع انخفاض الناتج المحلي الإجمالي بنسبة 2 %، وأسهمت عالمياً في تفجير أزمة ديون البلدان النامية.

10 بريت كريستوفرز، الرأسمالية الريعية: من يملك الاقتصاد ومن يدفع ثمنه؟، 2022، فيرسو.

كما تُشرح ديزيري فيلدز Desiree Fields، فإن بناء هذه «الفئة الجديدة من الأصول» ينتج عن عوامل متنوعة ([11]). من ناحية، كان من الضروري إيجاد أصول جديدة لاستعادة ربحية رأس المال. بالإضافة إلى ذلك، ساهمت تقلبات أسعار العقارات، وتخلّي العائلات عن ممتلكاتها جراء عجزها عن سداد قروضها العقارية (أثناء أزمة 2008-2009)، ورغبة الملاك (خاصين وعموميين) في البيع، إلى جانب التدخلات الحكومية الهادفة إلى جعل هذا الاستثمار جذاباً (مزايا ضريبية، تخطيط حضري، إلخ)، في خلق بيئة جديدة من الفرص.

عندها شرعت صناديق الاستثمار في شراء العقارات بشكل جماعي في المدن الغربية الكبرى، ليس فقط للمضاربة عبر الشراء وإعادة البيع بأسعار متصاعدة، بل أيضاً لتأجيرها من أجل الحصول على دخل مستمر، ما شكّل تحولاً جذرياً في هيكل ملكية هذه المدن ([12]).

كما أسندت خصخصة المرافق العامة الناتجة عن سياسات التقشف إلى مديري الأصول إدارة شركات خدمات عامة عديدة (الطاقة والبنية التحتية والنقل). وبسبب طبيعتها الاحتكارية والطلب غير المرن عليها([13])، وفّرت هذه الاستثمارات دخلاً استثنائياً للمستثمرين، غالباً بفضل مدفوعات الدولة نفسها. وفي الوقت نفسه، أدّى تآكل قدرات الدولة الداخلية إلى زيادة الاستعانة بمديري الأصول وشركات الاستشارة لتنفيذ مهام كانت تقليدياً ضمن نطاق القطاع العام، مثل إدارة الشركات والخدمات العامة، وإجراء الدراسات والتقييمات الفنية، أو تحليل المخاطر المالية، على سبيل المثال. وبالإضافة إلى كونها تدرُّ دخلاً استثنائياً، فإن هذه الخدمات تخلق عدداً لا يحصى من تضارب المصالح وفرص الفساد، على حساب المصلحة العامة.

قطاع مالي جديد

يُبرز هذا الواقع بجلاء ظهور شريحة جديدة ومؤثرة من رأس المال - شريحة مديري الأصول - التي تشهد نمواً متسارعاً بفضل النظام النقدي الجديد الذي يضخم قيمة الأصول الخاضعة لإدارتها (Assets Under Management – AuM) . وفي هذا القطاع تحديداً، تتسم بنية الملكية بقدر عالٍ من التركّز، إذ تهيمن عليه ثلاثة فاعلين رئيسيين يُعرفون بـ«الثلاثة الكبار»: بلاك روك (BlackRock)، وفانغارد (Vanguard)، وستيت ستريت (State Street). وفي مجال العقارات، تبرز أيضاً شركة بلاكستون (Blackstone) بوصفها فاعلاً مهماً، رغم كونها مملوكة جزئياً لكل من بلاك روك وفانغارد.

> **أدّى تآكل قدرات الدولة الداخلية إلى زيادة الاستعانة بمديري الأصول وشركات الاستشارة لتنفيذ مهام كانت تقليدياً ضمن نطاق القطاع العام**

تمتلك هذه الشركات الثلاث مجتمعةً أكثر من 20 في المائة من أسهم الشركات المدرجة في مؤشر S&P 500 ([14])، ما يعني أنها تسيطر على حصص معتبرة في كبرى الشركات الأمريكية. وبناءً على ذلك، يُعد «الثلاثة الكبار»، ومعهم مديرو الأصول عموماً، مالكين كونيين (Universal Owners)، إذ لا يقتصر امتلاكهم على الأوراق المالية التقليدية، مثل أسهم الشركات، بل يمتد بشكل متزايد إلى الأصول الحقيقية، ولا سيما البنى التحتية والسلع والخدمات الأساسية، كالإسكان، وإنتاج الطاقة وتوزيعها، والنقل، والاتصالات. ويُجسّد استحواذ بلاك روك على ميناء بنما عام 2024 مثالاً واضحاً على ذلك، فضلاً عن قدرتهم على إدارة هذه الأصول وتوجيه تدفقات مالية هائلة.

تستمد هذه الشركات المالية الجديدة قوتها من الفرص التي أتاحتها السياسات النقدية للبنوك المركزية، ومن تحويل أموال الاستثمار نحو تطبيقات ذات طابع مضارباتي، إضافة إلى الخصوصية البنيوية للاقتصاد الأمريكي، ولا سيما الدين العام البالغ نحو 36 تريليون دولار، والقدرة الفريدة على استقطاب المدخرات ورؤوس الأموال من مختلف أنحاء العالم. وبهذا المعنى، فإنها تبحر عملياً في محيط فائق السيولة.

خلال العقد الماضي، ضاعفت شركات مثل أبولو (Apollo)، وبلاك روك، وبلاكستون، وكيه كيه آر (KKR) قيمة الأصول التي تسيطر عليها بمقدار خمس مرات. كما تعزز حضورها في الأنشطة المالية التقليدية، مثل الائتمان والتأمين؛ ففي العام الماضي، منحت شركة أبولو معاشات تقاعدية (منتجات تأمين التقاعد) تفوق ما منحته أي شركة تأمين أخرى في الولايات المتحدة ([15]).

ونظراً لقدرتها على العمل خارج القيود التنظيمية الصارمة المفروضة على البنوك التقليدية — وهو ما يفسر جزئياً ازدهارها في مرحلة ما بعد الأزمة — تتمكن هذه الشركات المالية من تحقيق هوامش ربح أعلى. وللسبب نفسه، كثّفت البنوك التقليدية إقراضها لهذه المؤسسات؛ إذ تضاعف حجم هذه القروض خمس مرات منذ عام 2015، وأصبحت تشكّل حالياً نحو عُشر إجمالي القروض المصرفية ([16]). وتسعى البنوك، عبر ذلك، إلى اقتطاع نصيب من أرباح ما يُعرف بالنظام المصرفي الموازي أو التمويل الموازي.

إن هيمنة هذه الشركات المالية الجديدة على مفاصل أساسية من الاقتصاد المعاصر تمنحها قوة هائلة ([17])، ولا سيما قدرتها على ممارسة الضغط على الدول، وهي قوة تتعاظم بفعل التركّز الشديد داخل قطاع إدارة الأصول ذاته، الذي تسيطر عليه قلة محدودة من الفاعلين. وتنفق شركات مثل بلاك روك ملايين الدولارات سنوياً على أنشطة الضغط الموجّهة إلى الحكومات والسياسيين والبرلمانات ([18]). كما أن إسناد بعض وظائف الدولة إلى هذه الشركات، إلى جانب تشابكها الوثيق مع الحكومات والبنوك المركزية، يمنحها نفوذاً واسعاً في عملية صنع السياسات العامة ([19]). وفي هذا السياق، تؤكد الاقتصادية دانييلا غابور Daniela Gabor، التي تتابع عن كثب نقاشات التنظيم المالي، بوضوح: «لم تعد البنوك هي التي تمتلك السلطة، بل أصبح مديرو الأصول هم أصحابها الحقيقيون» ([20]).

أما المكوّن الثاني للأوليغارشية الجديدة، فينبع من القوة المتعاظمة لشركات تكنولوجيا الاتصالات، أي شركات التكنولوجيا الكبرى، التي تضم عمالقة التكنولوجيا الأمريكيين المعروفين، مثل ألفابت (Alphabet)، وميتا (Meta)، وأمازون (Amazon)، ومايكروسوفت (Microsoft). وقد شهدت هذه الشركات نمواً

«المال موجود، وبلاك روك هو من يملكه». تجمع قرب السفارة الأرجنتينية دعماً للإضراب العام في الأرجنتين، في 24 يناير 2024. فوتوتيك روج / مارتن نودا / هانز لوكاس

استثنائياً منذ مطلع القرن الحادي والعشرين، وربما أصبحت اليوم قسم رأس المال الأقوى سياسياً. وهي من أبرز المستفيدين من السيولة التي ضختها البنوك المركزية، والتي انعكست في الارتفاع الكبير في رسملتها السوقية، إذ كانت أسهمها من بين الأعلى نمواً خلال هذه الفترة. وفي الوقت نفسه، راكمت هذه الشركات نفوذاً واسعاً في الحياة الاجتماعية والسياسية، بما يحمله ذلك من آثار عميقة وطويلة الأمد.

الجائحة والفوضى المالية

شهدت فترة الجائحة وما أعقبها تدخلًا حكوميًا غير مسبوق لدعم الأجور والشركات، وبرامج تيسير كمي موسعة، ما دفع بعض المحللين مثل آدم توز للتساؤل عما إذا كان كوفيد19- قد أنهى عصر النيوليبرالية ([21]) – وهي قضية سنعود إليها لاحقًا.

تميزت هذه الفترة بعودة مؤقتة للتضخم، نجمت عن اختلال سلاسل التوريد بسبب الجائحة والحرب في أوكرانيا، بالإضافة إلى سياسات «جني الأرباح» التي انتهجتها بعض شركات التوزيع الكبرى. ردًا على ذلك، عادت البنوك المركزية إلى رفع أسعار الفائدة، وهو ما رحب به القطاع المالي التقليدي. سمحت هذه الفترة التضخمية (2022-2024) أيضًا لبعض القطاعات الاحتكارية التقليدية، كالطاقة والتوزيع، بتحقيق أرباح استثنائية عبر توسيع هوامشها الربحية ([22]). إلا أن هذه المكاسب يُتوقع أن تتراجع مع عودة التضخم وأسعار الفائدة نحو مستوياتها المعتادة، ما يجعلها ظاهرة مؤقتة.

«لا يقتصر امتلاك مديرو الأصول على الأوراق المالية التقليدية، مثل أسهم الشركات، بل يمتد بشكل متزايد إلى الأصول الحقيقية، ولا سيما البنى التحتية والسلع والخدمات الأساسية، كالإسكان، وإنتاج الطاقة وتوزيعها، والنقل، والاتصالات. فضلاً عن قدرتهم على إدارة هذه الأصول وتوجيه تدفقات مالية هائلة»

نحن الآن إزاء مرحلة انتقالية نحو نظام اقتصادي كلي، يتسم بأسعار فائدة منخفضة نسبيًا وبيع الأصول التي راكمتها البنوك المركزية. يضع هذا التحول القطاع المالي برمته في موقف حرج ويعمق انقساماته الداخلية. فالبنوك التقليدية تفضل أسعار الفائدة المرتفعة لأنها تعزز هوامش أرباحها في أنشطة الإقراض والاستثمار في السندات، لكنها تخشى التضخم لأنه يقلل من قيمة الديون المستحقة لها. على العكس من ذلك، يفضل مديرو الأصول (مثل صناديق الاستثمار) بيئة نقدية توسعية تتسامح مع التضخم ([23])، لأن الارتفاع العام في أسعار الأصول يزيد من قيمة الأصول التي يديرونها (AuM) وبالتالي عمولاتهم، كما يفضلون أسعار الفائدة المنخفضة. ويوضح بنجامين براون هذه الآلية بقوله:

«المتغير الأهم لمديري الأصول هو المستوى العام لأسعار الأصول ([24])، حيث تحسب عمولتهم كنسبة مئوية من إجمالي القيمة. فالتأثير الجماعي لتحركات السوق

11 ديزيريه فيلدز، «بناء فئة أصول جديدة: التراكم المالي القائم على العقارات بعد الأزمة»، Economic Geography، المجلد 94، العدد 2، 2018.

12 خوسيه ميغيل كالاتايود وآخرون، «الملاك الجدد للسكن: كيف أعادت الصناديق الدولية تشكيل سوق العقارات»، ElDiario.es، 15 مايو 2021.

13 غير مرن: أي يتمتع بدرجة عالية من الاستقرار النسبي.

14 يشير مؤشر S&P 500 إلى سلة تضم 500 شركة كبرى مدرجة في البورصات الأمريكية (NYSE و NASDAQ)، وتديره شركة Standard & Poor's، ويغطي نحو 80% من القيمة السوقية لسوق الأسهم الأمريكية.

15 «التمويل الأمريكي، الفريد دائماً، أصبح اليوم فريداً في خطورته»، The Economist، 31 مايو 2025.

16 «صراع العمالقة»، The Economist، 23 مايو 2025.

17 جوردان بوي، «بلاك روك: العملاق المالي الذي يثقل كاهل قرارات أوروبا»، Investigate Europe، 17 أبريل 2019.

18 بروك ماسترز، «بلاك روك تكثّف إنفاقها على الضغط السياسي في الولايات المتحدة في مواجهة الهجمات المناهضة لمعايير ESG»، Financial Times، 29 يناير 2023.

19 سريدهار ناتاراجان وإريك مارتن، «تعميق روابط بايدن مع بلاك روك عبر أحدث تعيين في وزارة الخزانة»، بلومبرغ، 12 أغسطس 2022.

20 جوردان بوي، المرجع السابق.

21 آدم توز، «هل أنهى كوفيد العصر النيوليبرالي؟»، The Guardian، 2 سبتمبر 2021.

22 إيزابيلا م. ويبر، «استهداف تضخم البائعين»، Project Syndicate، 13 يوليو 2023.

23 تشير إلى حزمة من التدابير الرامية إلى تحفيز النشاط الاقتصادي، غالباً عبر توسيع الكتلة النقدية أو خفض أسعار الفائدة.

24 تدل أسعار الأصول الإجمالية على القيمة الكلية للأصول المالية في السوق، وتقاس عادة عبر مؤشرات تمثيلية.

24 تدل أسعار الأصول الإجمالية على القيمة الكلية للأصول المالية في السوق، وتقاس عادة عبر مؤشرات تمثيلية.

على محافظهم يفوق بكثير الأداء الفردي لأي صندوق... وهذا ما يفسر دعم شركة مثل بلاك روك للسياسات التوسعية التي تحافظ على ارتفاع أسعار الأصول، وضغطها المستمر لتبني سياسة نقدية متساهلة» ([25]).

تتجلى هذه التوترات في الخلافات بين هذين الفصيلين الماليين حول إدارة ترامب، كما وثق ذلك برون Benjamin Braun ودوران ([26]) Cédric Durand. ذهب دوران في تحليل عام 2022 إلى أن تراجع هيمنة القطاع المالي أمر حتمي تقريبًا، مستندًا إلى مؤشرات مثل ضعف أسواق الأسهم ([27])، وتراجع أرباح القطاع المالي من إجمالي الأرباح ([28])، معتبرًا أن السياسة النقدية الأكثر تشددًا بعد الجائحة تشكل تهديدًا إضافيًا.

لكن هذه الاستنتاجات تتطلب حذرًا. أولاً، لا يوجد ضمان بأن البنوك المركزية لن تعود إلى سياسات توسعية تحت ضغط اللوبيات، كما يتجلى في الضغوط العلنية التي يمارسها ترامب على رئيس الاحتياطي الفيدرالي جيروم باول لخفض الفائدة. ثانيًا، ثمة حركة تحرير مالي واسعة جارية بالفعل ولكنها أقل ظهورًا إعلاميًا: فقد أعلنت إدارتا ستارمر وترامب عن خطط لإطلاق حزم تحريرية جديدة للسوق بنهاية العام، تعيد إجراءات ما قبل أزمة 2008، بينما أعلنت المفوضية الأوروبية عزمها تحرير عملية «التوريق» ([29]) – وهي الآلية المالية التي أشعلت أزمة الرهن العقاري.

يضيف ترامب عنصرًا خطيرًا من عدم الاستقرار. إنه يستغل منصبه السياسي لأغراض تجارية شخصية؛ فإطلاقه لعملة ميمية رقمية ($TRUMP) عشية تنصيبه، وربط الوصول إلى المناسبات الرسمية بالاستثمار فيها، يكشف عن طبيعة مناوراته. انهارت قيمة هذا الأصل بنحو 25% بين يناير ومايو، ما تسبب في خسائر فادحة لبعض المستثمرين لجزء من مدخراتهم أو ثرواتهم جراء شراء ما تبين أنه احتيال. وينبع خطر آخر من انجذابه الشديد لتسويق العملات المشفرة ورغبته في إلغاء تنظيمها. فبينما كانت قيمتها أقل من 20 مليار دولار في بداية ولايته الأولى، فإنها اليوم أكبر بخمسة عشر ضعفًا. كما تشكل الأصول المشفرة (1.9 مليار) الآن جزءًا كبيرًا من أصوله العقارية (2.6 مليار)، وهما قيمتان متقاربتان. يخلق هذا المزج بين المنتجات المالية شديدة المخاطرة واستغلال المنصب الرسمي لتضخيم الثروة الشخصية حالة عدم يقين ومخاطر عميقة.

مُدركًا لهذه التحديات التي أشار إليها دوران، يضاعف رأس المال المالي ضغطه للحصول على ضمانات تشريعية، يطالب بمزيد من تحرير الأسواق، وخفض الضرائب، وفتح أسواق جديدة. لا سيما سوق معاشات التقاعد. ستحدد نجاحات أو إخفاقات هذه الضغوط مسار القطاع المالي – تراجعًا أو انتعاشًا. بكل الأحوال، فإن المبالغة في تقييم الأصول، والموجة الجديدة من التحرير المنفلت، ينذران باحتمال حدوث أزمة مالية جديدة مرتبطة بانفجار هذه الفقاعة.

استمرار العجز الإنتاجي

من جهة أخرى، لن تتحقق استعادة القدرات الإنتاجية السابقة في الأمد القريب. فقد كشف وباء كوفيد19- بوضوح هشاشة سلاسل التوريد العالمية، وأبرز ما ينطوي عليه الاعتماد المفرط عليها من مواطن ضعف اقتصادي. ومع ذلك، إذا أُخذنا في الحسبان مخاوف الاقتصادات الأكثر تقدماً من تباطؤ نمو الإنتاجية، إلى جانب الصعود الصناعي والتكنولوجي المتسارع للصين، تبدو الظروف مهيأة للعودة إلى تبنّي سياسة صناعية. وقد باتت هذه السياسة تُدافع عنها علناً اليوم مؤسسات مثل المفوضية الأوروبية، رغم أنها عارضت تاريخياً تدخل الدولة، وذلك في أعقاب تقرير دراغي. ولم يعد الأمر يقتصر على الخطاب، إذ يجري تطبيق هذا التوجه فعلياً في معظم بلدان المركز الرأسمالي ([30]).

يثير هذا الواقع جملة تساؤلات: هل سنشهد عودة للرأسمال الصناعي الكبير؟ والأهم، هل سيقود ذلك إلى تحول هيكلي في الاقتصادات، تستعيد فيه الإنتاجية دورها المحوري على حساب الرأسمالية الريعية والمضاربات المالية؟ يبدو هذا الاحتمال ضعيفاً. ويقدم دوران ثلاث مبررات لذلك: أولاً، يظل حجم الاستثمارات المعلنة غير كافٍ؛ ثانياً، تتجه الأولويات في مسارات خاطئة، كما يظهر من التركيز المتزايد على رفع الإنفاق العسكري في أوروبا؛ ثالثاً، يؤدي العجز عن ضبط الفاعلين الخواص في هذه العملية إلى مجرد إعادة توجيه الموارد العمومية نحو رأس المال الخاص ([31]).

في الواقع، تعتمد كثير من هذه البرامج على ما تسميه غابور «إزالة المخاطر»، أي استخدام الموارد العامة لتخفيف المخاطر عن القطاع الخاص، بما يتيح له الاستثمار في القطاعات المرغوبة، وتوجيه الأموال وفقاً لمصالحه، بل وحتى تولي إدارة هذه الاستثمارات بشكل مباشر ([32]). ورغم أن هذا النهج قد يفتح هامشاً لاتخاذ قرارات تجعل السياسات التنموية والبيئية ممكنة، فإن الحقبة الجديدة للسياسة الصناعية، القائمة على مبدأ «مخاطر عامة وأرباح خاصة»، قد تعزز تراكم رأس المال لدى المجموعات الكبرى

يبدو احتمال أن تستعيد فيه الإنتاجية دورها المحوري على حساب الرأسمالية الريعية والمضاربات المالية ضعيفا

الرئيس ترامب مع باول خلال زيارة للاحتياطي الفيدرالي في يوليو 2025. البيت الأبيض.

في قطاعات صناعية متخصصة مثل الذكاء الاصطناعي، والطاقات المتجددة، وأشباه الموصلات، والدفاع، من دون أن تقود إلى إعادة هيكلة شاملة للاقتصادات أو إلى إحداث تحولات عميقة في تكوين رأس المال.

ومن جانب آخر، لا يملك مديرو الأصول، الذين يرحبون بهذا النوع من التدخل الحكومي، حافزاً حقيقياً لدفع دينامية الشركات التي يسيطرون عليها، ما يشكل عائقاً أمام انتعاش الاستثمار والابتكار. فبوصفهم «مالكين عالميين»، لا يبدون اهتماماً كبيراً بالأداء الفردي لكل شركة، إذ يمتلكون حصصاً في شركات متعددة عبر قطاعات مختلفة، وأحياناً في عدة شركات كبرى ضمن القطاع نفسه. وبناءً عليه، لا يهمهم أن تتفوق شركة ما في الإنتاج أو المبيعات على منافسيها، لأنهم غالباً ما يحتفظون بحصص اقتصادية في هذه الشركات المنافسة أيضاً. ينصب هدفهم الأساسي على رفع قيمة القطاع ككل، مع إعطاء أولوية لقيمة الأسهم على حساب نتائج الشركات الفعلية، لأن عمولاتهم تُحتسب انطلاقاً من الأولى ([33]).

القوة التكنولوجية على الصعيد العالمي

بعد بروزها بقوة في العقد الذي أعقب الأزمة، خرجت شركات التكنولوجيا الكبرى من الجائحة أكثر صلابة ونفوذاً من أي وقت مضى. أصبح مالكوها اليوم من بين أغنى رجال العالم، يمارسون تأثيراً مباشراً على الحكومات، بل ويشاركون فيها أحياناً بصورة متقلبة، كما في حالة ماسك وDOGE، دون إخفاء طموحاتهم السياسية ومشاريعهم الاجتماعية. وقد تجلّى ذلك بوضوح أثناء حفل تنصيب ترامب، حين شغل أصحاب عمالقة التكنولوجيا المقاعد الشرفية المعتاد أنها من نصيب رؤساء سابقين وشخصيات رسمية بارزة. وبذلك باتوا، في الوقت الراهن، من أكثر الفئات امتلاكاً للنفوذ السياسي.

تحوّل أباطرة وادي السيليكون، الذين دأبوا عموماً على دعم الحزب الديمقراطي، نحو ترامب، بل وإلى توجه أوسع يتسم بالرجعية والنزعة السلطوية. ويظهر ذلك في دفاع مارك زوكربيرغ عما يسميه «الطاقة الذكورية»، وفي الانزياح اليميني الحاد لشبكة X (تويتر سابقاً) تحت قيادة إيلون ماسك. وكان من أوائل قرارات ترامب إلغاء مرسوم أصدره بايدن، كان يلزم بعض أنظمة الذكاء الاصطناعي بتقاسم اختبارات السلامة مع الحكومة. كما منح ماسك، عبر وزارة DOGE، حق النفاذ إلى بيانات جميع الوكالات الفيدرالية. وعلى الصعيد الدولي، واصل ترامب الضغط على الدول الأخرى لإلغاء الأطر التنظيمية المفروضة على نشاط عمالقة التكنولوجيا، مستخدماً ذلك ورقة تفاوض في ملف الرسوم الجمركية ([34]).

غير أن نفوذ هذه الشركات لا يستمد فقط من قدرتها على التأثير في الإدارات. فهي تهيمن، بشكل شبه مطلق، على أكثر وسائل الاتصال انتشاراً في تاريخ البشرية، ما يمنحها قدرة غير مسبوقة على توجيه السلوكيات والتلاعب بها على نطاق واسع ([35]). ولتحقيق ذلك، تجمع هذه الشركات على نحو دائم كماً هائلاً من البيانات التفصيلية حول تجاربنا الفردية والخاصة، وتوظفها في تدريب خوارزميات قادرة على التنبؤ بسلوكياتنا وتعديلها بدقة متزايدة. ثم تقوم ببيع حق الوصول إلى الشبكات الرقمية التي استحوذت عليها، إلى جانب أدوات التنبؤ والتأثير التي طورتها.

تمثل الرقابة العامة، والإشراف الديمقراطي، والحريات الدستورية عوائق ينبغي إزالتها من أجل إخضاع البشرية بصورة كاملة لمنظومة المراقبة الخاصة بها

يقوم نموذجها الاقتصادي، كما تستند سلطتها السياسية، على الوصول شبه غير المحدود إلى هذه البيانات، وهو ما يتعارض على نحو متزايد مع مفاهيم الحرية والديمقراطية. ومن ثم، يغدو التحول السلطوي لهذه الأوليغارشية الجديدة، المدعومة برأسمال يكاد لا ينفد، شرطاً ضرورياً لاستمرار نموذجها التراكمي؛ إذ تمثل الرقابة العامة، والإشراف الديمقراطي، والحريات الدستورية عوائق ينبغي إزالتها من أجل إخضاع البشرية بصورة كاملة لمنظومة المراقبة الخاصة بها.

إزاء هذه الوقائع، شهدت سنوات الجائحة وما تلاها ازدهاراً للأبحاث الأكاديمية ذات المنظور الماركسي، التي سعت إلى توصيف هذه الظاهرة تحت مسمى «الإقطاعية التكنولوجية».

يعرّف فاروفاكيس Yanis Varoufakis الرأسمالية المعاصرة بوصفها نمط إنتاج جديد، إذ يكتب: «عندما تدخل إلى أمازون، فإنك تخرج من الرأسمالية»، لأن نموذج الشركة لا يقوم على إنتاج السلع وبيعها، بل على استخلاص الدخل

---

25 بنجامين براون، «الخروج، والسيطرة، والسياسة: القوة البنيوية وحوكمة الشركات في ظل رأسمالية مديري الأصول»، Politics & Society، المجلد 50، العدد 4، ديسمبر 2022.

26 بنجامين براون وسيدريك دوران، «خريف أمريكا البرودلية»، Le Grand Continent، 29 مايو 2025 (نشر 27 يوليو 2025).

27 يشير مصطلح «الأسهم الخاصة» إلى الاستثمارات في الشركات غير المدرجة في البورصات، أي الشركات الخاصة.

28 سيدريك دوران، المرجع المذكور.

29 التوريق هو عملية تحويل الأصول غير السائلة، مثل القروض والديون الاستهلاكية، إلى أوراق مالية قابلة للتداول في الأسواق.

30 سيمون إيفينيت، آدم جاكوبك، فرناندو مارتين، ميشيل روتا، «عودة السياسة الصناعية في البيانات»، 3 يوليو 2024، مكتبة ويلي أونلاين.

31 سيدريك دوران، «الدول الجوفاء»، NLR/ Sidecar.

32 إيثان شون، «رسائل بلاك روك: داخل الشراكة الوثيقة مع حزب العمال»، Open Democracy، 22 نوفمبر 2024؛ دانييلا غابور، «حزب العمال يضع خططه لبريطانيا في أيدي المؤسسات المالية الخاصة»، The Guardian ، 2 يوليو 2024.

33 يان فيشتنر، إيلكي م. هيمسكيرك، وخافيير غارسيا-برناردو، «القوة الخفية للثلاثة الكبار؟ صناديق المؤشرات السلبية، إعادة تركيز ملكية الشركات، والمخاطر المالية الجديدة»، Business and Politics، المجلد 19، العدد 2، 2017.

34 سيدريك دوران، «الإقطاعية التكنولوجية بوصفها ليفياثاناً زائفاً»، Inprecor، 15 فبراير 2025.

35 فرانسيسكو لوسا، المستقبل لم يعد ما لم يكن عليه أبداً، Bertrand Editora، 2021؛ شوشانا زوبوف، عصر رأسمالية المراقبة: الصراع من أجل مستقبل إنساني في مواجهة حدود سلطة جديدة، 2019، 2020) Zulma).

بواسطة التبادلات التي تتم على منصتها[36]. غير أن ما يميز الرأسمالية، في جوهرها، هو الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج وتحويل العمل إلى سلعة، وهو ما ينطبق بوضوح على أمازون والاقتصاد الذي تنتمي إليه. أما الريع، فليس عنصراً جديداً يحدد تحوّل نمط الإنتاج، إذ كان شكلاً من أشكال التراكم داخل الرأسمالية قبل بروز عمالقة التكنولوجيا، وإن لم يبلغ آنذاك المستوى الذي وصل إليه اليوم.

تبدو فرضية «التكنو-إقطاعية» التي يقدمها دوران أكثر إثارة للاهتمام، لأنها تركز على مسألة الاستيلاء على الفضاءات الرقمية، أو ما يسميه فاروفاكيس «المشاعات الرقمية». فبعد أن غدت هذه الفضاءات عنصراً أساسياً في البنية التحتية للاقتصاد والحياة الاجتماعية، أصبح تركّز ملكيتها، نتيجة شكل من أشكال التراكم البدائي الرقمي و«الاحتكار الفكري»، إشكالية مركزية. ويستغل «الإقطاعيون التكنولوجيون» هذا الوضع لمصلحتهم عبر حصر الوصول إلى هذه الفضاءات بمن يدفع «ريعاً»، مستمدين سلطتهم وثروتهم من خلق علاقات تبعية لشبكات يسيطرون عليها.

مع ذلك، ينبغي ألا تُغفل هذه المقاربات العلاقة القائمة بين الرأسمالية الريعية الخاصة بعمالقة التكنولوجيا وبقية أشكال التراكم الرأسمالي. فهذا التجاهل يحد من قدرة أطروحات مثل «الإقطاعية التكنولوجية» على الإحاطة الشاملة بنمط الإنتاج القائم، لأنها تفترض تداخلاً مع نمط إنتاج سابق بدل تفسير الكلية الرأسمالية المعاصرة.

وإلى جانب القطاع المالي الذي سبقت الإشارة إليه، تظل قطاعات رأس المال التقليدية محتفظة بقوة كبيرة. ويتجلى ذلك، على سبيل المثال، في صناعة الأدوية التي ضاعفت هوامش أرباحها خلال العقود الأخيرة بفعل قوتها السوقية الواسعة [37]. ويمكن كذلك استحضار حالة وول مارت [38]، التي بلغت مبيعاتها نحو 680 مليار دولار وتوظف أكثر من 2.1 مليون عامل، ما يجعلها أكبر شركة في الولايات المتحدة والعالم وفق هذين المعيارين. ويتمثل نشاطها الرئيسي في تجارة التجزئة، حيث تهيمن على نحو 10 في المئة من السوق الأمريكية (باستثناء العقارات). وتكشف هذه المعطيات عن نتيجة لافتة، إذ تفوق نسبة رأس مال وول مارت إلى أرباحها تلك المسجلة لدى شركات آبل وميتا وأمازون ومايكروسوفت. وبعبارة أخرى، تجتذب وول مارت قدراً أكبر من المدخرات ورؤوس الأموال، ما يدل على أن تحليل القطاعات الجديدة المهيمنة على رأس المال لا ينبغي أن يتجاهل الشركات والقطاعات التقليدية، مثل قطاع التوزيع.

رغم أهمية هذه التحولات، فإنها لا تكفي لإخراج الرأسمالية من طورها الراهن ضمن الموجة الطويلة، أي مرحلة «الركود المزمن»

أيّ نوع من الرأسمالية؟

نختتم هذا المقال بتقديم خلاصة عامة لطبيعة نظام تراكم رأس المال القائم. شهدت السنوات التي تلت الأزمة إعادة تركيب عميقة لبنية رأس المال، تمثلت في تراجع نسبي لدور البنوك التقليدية، وصعود لافت لمديري الأصول، وترسيخ موقع شركات التكنولوجيا الكبرى كأحد المكونات المهيمنة في رأس المال العالمي. ورغم أهمية هذه التحولات، فإنها لا تكفي لإخراج الرأسمالية من طورها الراهن ضمن الموجة الطويلة، أي مرحلة «الركود المزمن». وفي الوقت ذاته، تتسم هذه التحولات بتعدد أشكالها، بما يمنع اختزال الرأسمالية المعاصرة في «منطق واحد» مهيمن [39]. لذلك، نفضّل التركيز على جملة من الاتجاهات البنيوية الأساسية.

يُنظر إلى صناعة الحرب على نحو متزايد بوصفها حلاً لاستعادة القدرات الإنتاجية في المركز الرأسمالي

أولاً، الريع. في سياق أزمة التراكم الممتدة منذ أواخر ستينيات القرن الماضي، والانخفاض المتواصل في معدل الربح، يؤدي عجز الرأسمالية عن استعادة ديناميتها الإنتاجية إلى دفع أكثر قطاعات رأس المال حيوية نحو أشكال ريعية من التراكم[40]، كما تبيّنه مختلف الأمثلة الواردة في هذا النص.

في هذا الإطار، اقترح بريت كريستوفرز مفهوم «الرأسمالية الريعية» لوصف مرحلة تتفوق فيها الريوع على الأرباح بوصفها المحرّك الرئيسي للتراكم، وهو تطور لم يتصوره ماركس ولا الاقتصاديون الكلاسيكيون [41]. ويترتب على ذلك إعاقة الابتكار والمنافسة ونمو القوى المنتِجة، مع تكثيف تركّز الملكية وتعميق التفاوتات الاجتماعية. ورغم إمكانية النقاش حول اعتماد كريستوفرز مفهوماً واسعاً للريع يسمح بإدراج معظم الأنشطة الاقتصادية ضمنه، فإن الاتجاه العام الذي يشير إليه حقيقي، وكذلك عواقبه.

ثانياً، النزوع نحو الشمولية السلعية. تفرض مواجهة تراجع معدل الربح إدماج عناصر جديدة، كانت سابقاً جزءاً من العلاقات الاجتماعية، في دائرة تراكم رأس المال، عبر تحويلها إلى سلع أو أصول يُستخرج منها الدخل. ويتعزز هنا ما يمكن تسميته بالنزوع «البولاني» [42] للرأسمالية المتأخرة ما بعد الصناعية، حيث يجري تسليع مزيد من أبعاد وجودنا استجابةً لعجزها الإنتاجي، بدءاً من السكن والخدمات العمومية، وصولاً إلى خبراتنا الفردية في شكل اهتمام وبيانات. وبهذا المعنى، كما تشير نانسي فريزر، تواصل الرأسمالية التهام مجالات أوسع من حياتنا [43].

ثالثاً، الاتجاه المتلازم نحو الأوليغارشية والاستبداد. يؤدي التركّز غير المسبوق للشركات في هذه المرحلة من الرأسمالية إلى محاولة إخضاع السياسة والحياة الجماعية. وتتجلى هذه الظاهرة في بعدين رئيسيين. فمن جهة، يؤدي تقلص فرص الاستثمار المنتج إلى جعل الاستيلاء على السلطة السياسية الوسيلة الأكثر نجاعة لضمان ربحية رأس المال، وهو ما تيسّره عقود من السياسات النيوليبرالية التي أضعفت قدرات الدولة وعمّقت تركّز القوة الاقتصادية، القابلة للتحول بسهولة إلى سلطة سياسية داخل اقتصاد السوق. وفي هذا السياق، يشير ديلان رايلي وروبرت برينر Dylan Riley et Robert

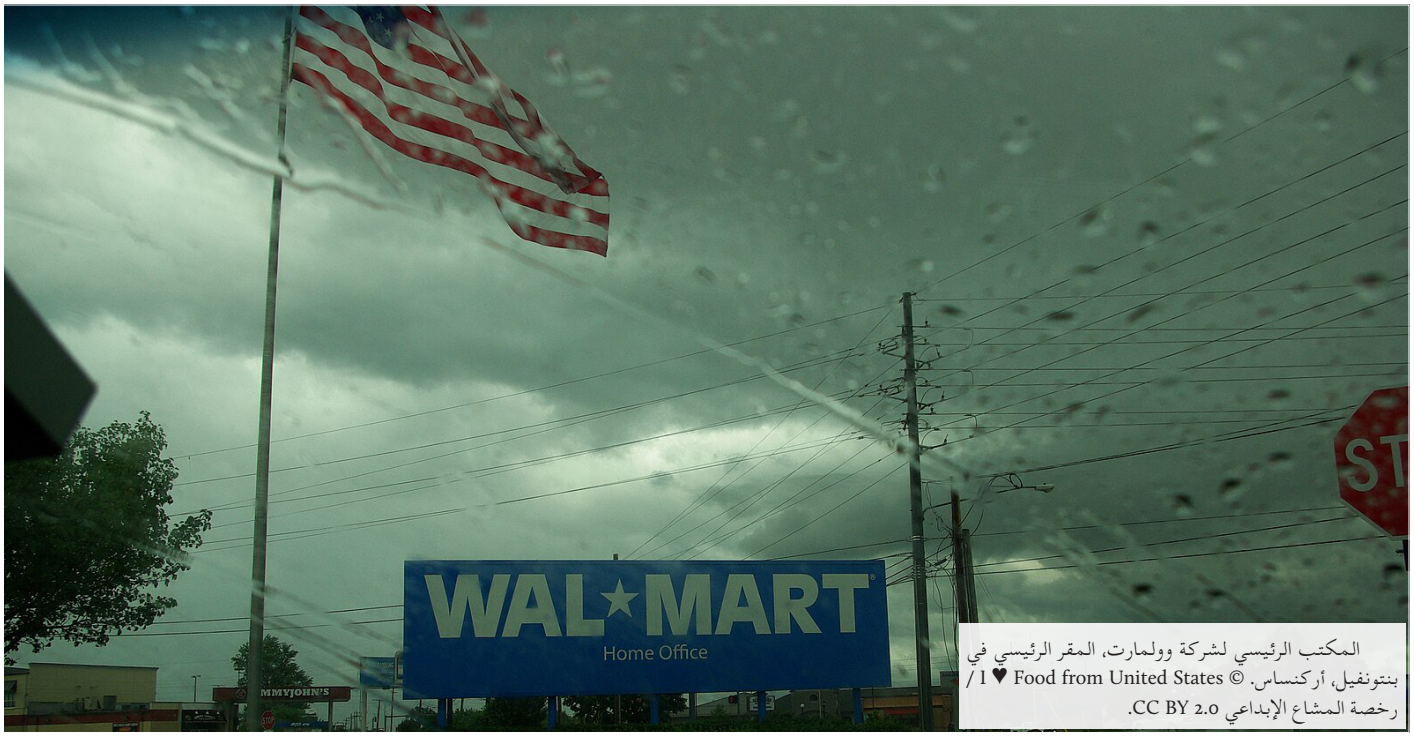

المكتب الرئيسي لشركة وولمارت، المقر الرئيسي في بنتونفيل، أركنساس. © I ♥ Food from United States / رخصة المشاع الإبداعي CC BY 2.0.

Brenner إلى أن «هذا الشكل الجديد من التراكم يرتبط بسلسلة من آليات «الاحتيال المنظم سياسياً»، تشمل الإعفاءات الضريبية المتزايدة، وخصخصة الأصول العامة بأسعار زهيدة، وسياسات التيسير الكمي، وأسعار الفائدة المنخفضة للغاية لتشجيع المضاربات المالية، فضلاً عن الإنفاق العام الضخم الموجّه مباشرة إلى الصناعة الخاصة، وما يخلّفه ذلك من آثار عامة على المجتمع» ([44])

ومن جهة أخرى، يتعارض تكثيف الاستغلال – بعد عقود من كبح الأجور وتفكيك قوانين العمل – إلى جانب النموذج الاقتصادي لبعض قطاعات الأوليغارشية، ولا سيما شركات التكنولوجيا الكبرى، تعارضاً مباشراً مع الديمقراطية والحريات العامة وأشكال المقاومة الاجتماعية. وبفعل ذلك، يجري التعامل مع هذه الأخيرة تدريجياً بوصفها عوائق ينبغي تجاوزها، بما يفتح المجال أمام حلول استبدادية جديدة.

أخيراً، الحرب. فالتراجع العام في الربحية على المستوى العالمي فاقم التناقضات بين الاقتصادات الرأسمالية الكبرى. ويُعدّ نظام الرسوم الجمركية الذي اعتمده ترامب تعبيراً واضحاً عن هذا المسار، إذ يجسّد نهاية مرحلة العولمة، ويسعى إلى فرض «ضريبة» السيادة العالمية على أوروبا واليابان وكندا وغيرها. وفي السياق ذاته، يُنظر إلى صناعة الحرب على نحو متزايد بوصفها حلاً لاستعادة القدرات الإنتاجية في المركز الرأسمالي، وهي رؤية تتقاسمها قوى مثل حلف شمال الأطلسي والمفوضية الأوروبية وعدد من القوى الرئيسة في أوروبا. ويتوقع دوران، وربما عن وجاهة، أنه في ظل استحالة استعادة دينامية رأس المال، لا يبقى سوى مسار بديل واحد:

> **فالتراجع العام في الربحية على المستوى العالمي فاقم التناقضات بين الاقتصادات الرأسمالية الكبرى. ويُعدّ نظام الرسوم الجمركية الذي اعتمده ترامب تعبيراً واضحاً عن هذا المسار، إذ يجسّد نهاية مرحلة العولمة**

«أن تواصل المصالح الريعية والاحتكارية توجيه مجتمع يتسم بتفاقم اللامساواة والاستبداد والركود، وأن تتحول بنياته السياسية تدريجياً إلى شكل من أشكال الأوليغارشية المؤسسية. وسيظل رأس المال الوهمي المتراكم مجمداً وغير موظف، ولن تعود السلعية الأداة التي تسمح للأرباح بالنمو انطلاقاً من العمل المجرّد. وبدلاً من ذلك، ستستغل فئة ضيقة من الأثرياء للغاية التكنولوجيات الجديدة لضمان دخولها وإعادة إنتاج نمط حياتها الفاخر، في عالم آخذ في التدهور ويزداد عسكرة» (45).

ينبغي تجنب هذا المسار. ■

30 أكتوبر 2025

---

36 يانيس فاروفاكيس، العبيد الجدد للاقتصاد، 2023، 2024 (Les Liens qui Libèrent).

37 فيليغاس-سانشيز، «تصاعد القوة السوقية للشركات»، صندوق النقد الدولي، 2021.

38 وول مارت شركة أمريكية متعددة الجنسيات في مجال التوزيع الكبير، أسسها سام والتون، وتُعد المجموعة الأولى عالمياً في هذا القطاع.

39 مصطلح مستعار من التحليل النفسي، يشير «السيد الدلالي» إلى المفهوم المركزي الذي يدور حوله النظام بأكمله.

40 ديوغو ماتشادو، «أزمة التراكم، عدم الاستقرار، والهمجية»، Rede Anticapitalista، مايو 2025.

41 كريستوفرز، المرجع نفسه.

42 في كتابه التحول الكبير (1944)، حلّل كارل بولاني الرأسمالية كنظام يميل إلى تسليع مجالات من الحياة الإنسانية لا تُعد بطبيعتها سلعاً، مثل العمل والأرض والنقود، واصفاً إياها بـ«السلع الوهمية».

43 نانسي فريزر، الرأسمالية آكلة لحوم البشر، 2022، 2025 (Agone).

44 ديلان رايلي وروبرت برينر، «سبع أطروحات حول السياسة الأمريكية»، New Left Review، العدد 138، 2022.

45 سيدريك دوران، «استكشاف حدود رأس المال»، New Left Review، العدد 136، 2022.

الملتقى الاشتراكي البيئي الأممي السابع في بروكسل من 15 إلى 17 مايو 2026

إننا بحاجة، في حقبة حيث يحدق الخطر ببقاء البشرية، إلى حركة تعيد طرح بديل يبعث على الأمل في مواجهة اليمين المتطرف والنيوليبرالية. لهذا السبب، ندعو جميع أولئك واللواتي يناضلون ويناضلن من أجل الكرامة الإنسانية، ومن أجل بديل للرأسمالية المدمرة إلى الاجتماع في بروكسل من 15 إلى 17 مايو 2026، للمشاركة في الدورة السابعة للملتقيات الأممية للاشتراكية البيئية.

بعد ما ينيف عن قرن على البديل الذي طرحته روزا لوكسمبورغ "الاشتراكية أو الهمجية؟"، تدفع الحقيقة الجديدة للرأسمالية الاستخراجية البشرية إلى حافة الهاوية بطرح معادلة جديدة: "الاشتراكية الايكولوجية أو الهمجية".

جرى تجاوز سبعة من أصل تسعة عتبات خطورة تحدد وجود جنسنا البشري على الأرض: التغير المناخي، وسلامة المحيط الحيوي، وتغيرات استخدام الأراضي، ودورة المياه العذبة، والدورات البيوجيوكيميائية، وأشكال التلوث الكيميائي الجديدة، وثم تجاوز الخطر السابع، تحمض المحيطات، في عام 2025. وفي غضون أربع سنوات فقط، تجاوزت الأرض رسمياً أربعة من هذه العتبات التسع للخطر.

بتنا نعيش بالفعل السنوات الأولى من مناخ جديد أشد خطورة. ففي كل عام، يتم تحطيم رقم قياسي جديد في ارتفاع درجة الحرارة العالمية. وفي كل عام، تتكاثر الكوارث المناخية في جميع أنحاء العالم. أما مؤتمرات الأطراف بشأن التنوع البيولوجي فهي مشلولة؛ فيما يستمر تدمير الأنواع وزوالها.

هذا الانهيار ليس مفعولا طبيعيًا لـ "الأرض"، بل هو نتيجة سباق متزايد نحو الربح، والاندفاع المدمر نحو "إنتاج المزيد والمزيد" على حساب البشر والطبيعة.

ما يسمى بـ "الرأسمالية الخضراء" خدعة تستخدم ذريعةً للسياسات الاستعمارية الجديدة والتقشفية للحكومات النيوليبرالية، في حين تستمر انبعاثات غازات الدفيئة في الازدياد. لا يوجد مخرج جدير بهذا الاسم دون قطيعة مع منطق النمو المدمر الملازم للرأسمالية. لا يمكن تأخير وقت العمل، يجب إيقاف قطار الرأسمالية المجنون بالثورة الاشتراكية الايكولوجية.

إن الأجندة النيوليبرالية، المفروضة باسم "الصرامة المالية" وسداد الديون العمومية المتعاقد بشأنها مع الأسواق المالية، هي اليوم أكثر من أي وقت مضى مرادفا لتدمير دولة الرعاية، للكارثة البيئية والمناخية، للتحويل الهائل للثروات من الجنوب العالمي إلى الشمال، ومن الطبقات الشعبية إلى الطبقات الرأسمالية. ويحول هذا المنطق دون أي أفق لإعادة توزيع الثروات، وهو أمر ضروري لتنفيذ الاستثمارات الحاسمة لتحقيق العدالة الاجتماعية والتحول البيئي.

الفيضانات، والجفاف، والحرائق، ودرجات الحرارة التي لا تطاق... إن الظواهر المناخية المتطرفة، التي تزداد عددًا وعنفًا وفتكًا، تؤثر في المقام الأول على السكان الأكثر فقرًا على كوكب الأرض، سكان الجنوب العالمي، ولا سيما النساء والأطفال والمُسنين، وخاصة الأشخاص المُعرضين العنصرية والسكان الأصليين.

يستغل منطق الاستخراجية الأجساد والأراضي على حد سواء، ويهدد حقوق العمال والعاملات، ويفاقم هشاشة علاقات العمل، ويقترن العنف الجنساني بالعنف الذي يمارسه ملاك الأراضي والشركات الكبرى والحكومات ضد السكان الذين يقاومون هذا المنطق، ومن بينهم السكان الأصليون والنساء، الذين غالباً ما يكونون في طليعة المقاومة.

وتؤدي هذه الظواهر، مضافاً إليها تغيير استخدام الأراضي وفق منطق نهبٍ وتراكمٍ رأسمالي، وسياسة عمران حضري لفائدة القلة، إلى تهجير قسري لمجموعات السكان الريفية والأصلية، ما يدفع ملايين الأشخاص إلى الهجرة القسرية في جميع أنحاء العالم لأسباب بيئية. تدعم حكومات البلدان الغنية تطوير حلول زائفة، والتبييض الأخضر، والاندفاع التكنولوجي إلى الأمام، في حين يدافع اليمين المتطرف علناً عن إنكار تغير المناخ.

تنظيم المقاومة وتوحيد نضالاتنا

لابد، في مواجهة هذا كله، تنظيم المقاومة والهجوم المضاد، بتوحيد نضالاتنا: الاشتراكية الإيكولوجية، والإقليمية، والمناهضة للاستعمار، والنضالات النقابية الإيكولوجية من أجل العدالة المناخية، والنضالات النسوية الإيكولوجية، والمناهضة للاستخراجية... ولكن أيضًا تشارك تحليلاتنا وأبحاثنا وخبراتنا، من أجل بناء منظور اشتراكي إيكولوجي ومناهض للرأسمالية، على المستوى الأممي، يتيح لنا استعادة زمام المبادرة في بناء مجتمع أكثر عدالة يضع الحياة في صميم اهتماماته.

ومن أجل تحقيق هذا الهدف، عُقد الملتقى الإيكولوجي-الاشتراكي الثاني لأمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي في بيليم (البرازيل) في الفترة من 8 إلى 11 نوفمبر 2025، بمناسبة مؤتمر الأطراف الثلاثون (COP30) ورداً على المأزق الذي تمر به مؤتمرات الأطراف منذ عقود. حقق هذا اللقاء نجاحًا كبيرًا بفضل المشاركة والقطاعات الممثلة، ومن بينها الأشخاص المتحدرون من أصل أفريقي، وشعوب أصلية من الأمازون، والناشطون في الدفاع عن أراضيهم، وتحالفات مناهضة للاستخراجية، والفلاحون المعدمون، والمناضلون السياسيون... ستكون مقترحاتهم، ونظرتهم غير المستعمرة من الجنوب العالمي وبدائلهم الاشتراكية الايكولوجية المتجذرة في أراضيهم ونضالاتهم، أساسية بالنسبة لدورتنا السابعة للملتقيات الأممية ، تمامًا مثل استنتاجات وقرارات اللقاءات السابقة.

منذ عام 2014، اجتمعت شبكة الملتقيات الاشتراكية الإيكولوجية في قارتين وخمسة بلدان مختلفة. فبعد بوينس آيرس (الأرجنتين) في عام 2024، ستعقد الملتقيات السابعة في بروكسل في عام 2026 وستكون فرصة لجمع المنظمات والجماعات والحركات النقابية والسياسية والنسوية والمناوئة للاستعمار والأشخاص المهاجرين وللباحثين... من عدة قارات، لا سيما أوروبا وأمريكا اللاتينية وأفريقيا.

وفي مواجهة قوى رأس المال المدمرة، واليمين المتطرف، وسياسات إعادة التسلح الشامل وزيادة الإنفاق العسكري، سواء داخل الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي أو في الصين وروسيا وأماكن أخرى، وفي مواجهة الحروب الإمبريالية التي تشنها الولايات المتحدة ضد شعوب العالم، وتشنها روسيا على أوكرانيا، وفي مواجهة الإبادة الجماعية التي ترتكبها إسرائيل في فلسطين، لنواجه ذلك برد فعل الشعوب، أولئك الذين يديرون واللواتي يدرن العالم بعملهم-ن، ويهتمون بالبشر والنظم البيئية.

في مواجهة الهمجية، لننجز قطيعة مع الرأسمالية، ولنواجهها بالتضامن الأممي ومشروع مجتمع اشتراكي إيكولوجي.

موعدنا في بروكسل من 15 إلى 17 مايو 2026 ! ■

التوقيعات الأولى

سيباستيان برولیز، اليسار المناهض للرأسمالية، بلجيكا – بابلو لايشاي، CADTM بلجيكا – فنسنت نويروم، شبكة الغاء الديون غير المشروعة CADTM بلجيكا – فانيسا دورادو ATTAC-الأرجنتين – باولا دلفينو، مارابونتا، الأرجنتين – ميغيل أوربان، عضو سابق في البرلمان الأوروبي،حزب مناهضون للرأسمالية Anticapitalistas،إسبانيا – دانيال تانورو، كاتب إيكولوجي اشتراكي، الأممية الرابعة – فرانك غوديشو، مؤرخ، مجلة Contretemps web فرنسا – خايمي باستور، محرر Viento Sur، إسبانيا – خواكين فيغا، Izquierda Unida، الأندلس، إسبانيا – شاريتو ويلمين، مناضلة إيكولوجية نسوية، عضو في جماعة Jaguar، جنيف، سويسرا – ماتيو مينغويني، مؤرخ HES-SO، جنيف، سويسرا – سيباستيان برتراند، مجموعة النقابات البيئية التابعة لنقابة الخدمات العامة، جنيف، سويسرا – تيو فراي، ناشط في solidaritéS و Jeunesse solidaire، سويسرا – سوشوفان دهار، Alternative Viewpoint، الهند – أوليفييه بيسانسونو، NPA-L'Anticapitaliste، فرنسا – فلافيا فيري، شبكة إيكولوجية واجتماعية ومتمردة، فرنسا – إيناكي بارسينا هينوجال، أستاذ وباحث Ekopol-UPV-EHU، عضو في Espacio Ecosocialista de Euskal Herria – ماكسيم بيريو، CADTM، بلجيكا – إينيغو أنتيبارا، من Gune Ekosozialista، إوسكال هيريا – فرانسيسكو لوسا، أستاذ جامعي، مناضل فيحزب كتلة اليسار Bloco de Esquerda، البرتغال – توم كوتشارز، باحث مستقل وناشط في Ecologistas en Acción، إسبانيا – تارزيا ميديروس، القطاع الإيكولوجي الاشتراكي في حزب الحرية و الاشتراكية PSOL وعضو في القيادة الوطنية لحزب الحرية والاشتراكية البرازيل – دانيال ألباراسين. أستاذ في جامعة إشبيلية. اقتصادي وعالم اجتماع. الأندلس. إسبانيا – جواد مستقبل، ATTAC- CADTM، المغرب – خوان تورتوسا، المجموعة الاشتراكية البيئية التضامنية، سويسرا – مارتن موسكيرا، بودر بوبولار الأرجنتين – جواو كامارغو، كليماكسيمو، البرتغال/بلجيكا – كريستين بوبان، المتحدثة باسم الحزب الجديد المناهض للرأسمالية، فرنسا – إيراتشي ديلغادو أريباس، نقابة LAB،إوسكال هيريا – مورين زيلايا باريدس. Anticapitalistas y Ecologistas en Acción، إسبانيا – جوانا بريغولات، Anticapitalistas، إسبانيا – خوانخو ألفاريز، Anticapitalistas، إسبانيا – مانويل غاري، اقتصادي، Anticapitalistas، إسبانيا – مارتن لالانا، مسؤول الانتقال البيئي في نقابة LAB، إيوسكال هيريا – ماركو موريزي، فيلسوف وناشط، روما، إيطاليا – أيتور مورغيا، نقابة ELA، إيوسكال هيريا – أينهارا بلازولا، نقابة ELA، إيوسكال هيريا – أنطوان دوبياو، مؤلف كتاب «الإيكوفاشية»، solidaritéS، سويسرا – يايو هيريرو، من منتدى التحولات، إسبانيا – خوسيه إجناسيو غارسيا، عضو البرلمان الأندلسي، المتحدث باسم حزب أديلانتي أندالوسيا – إيريكا غونزاليس بريز، منسقة منظمة إيكولوجيستاس إن أكسيون وباحثة في منظمة OMAL-Paz con Dignidad. إسبانيا – خورخي ريشمان، منظمة Ecologistas en Acción y Anticapitalistas، إسبانيا – كريستوف أغيتون، ATTAC-فرنسا – تريستان هيغينسون، Jeneusse solidaire، سويسرا – أود سبانغ، إضراب نسوي فريبورغ، تضامن فلسطين-فريبورغ، نقابة Unia سويسرا – مايكل لوي، الأممية الرابعة باريس، فرنسا – فرانسواز نيفلر، تجمع الإضراب النسوي، جنيف، سويسرا – إريك توسان، المتحدث باسم CADTM الدولي – فرانكو توريجياتو اليسار المناهض للرأسمالية، Sinistra Anticapitalista – بول مورفي TD عضو البرلمان، أيرلندا، People Before Profit) – ريناتو روزينو – Deputado Estadual / حزب الحرية و الاشتراكية (سيارا – البرازيل) – إيان بروس، صحفي، اسكتلندا – جوليا مارتي كوماس، مناضلة نسوية ايكولوجية، حزب مناهضو الرأسمالية، ODG، إسبانيا – أنيك كوبيه، نقابية ومناهضة للعولمة، فرنسا – خافيير أغوايو، مجموعة التضامن الاشتراكية الإيكولوجية ، سويسرا – غابرييل فيديلا، تجمع إيكولوجي « Unides por la Laguna de Rocha »، جغرافي وأستاذ في جامعة بوينس آيرس وجامعة نورديك، الأرجنتين – ماريانا رودريغيز، Climaximo، البرتغال – بيدرو سواريس، شبكة الاشتراكية الايكولوجية، البرتغال – ماريا فرناندا غاديا، ATTAC، إسبانيا – خوسيه كاسيميرو، شبكة الاشتراكية الايكولوجية، البرتغال – كريستينا سيمبلانو، شبكة إيكوسوشياليستا، البرتغال – بيتر ساكسوتروب نيلسن، سياسة العمال الاشتراكية – الفرع الدنماركي للأممية الرابعة ، الدنمارك – فيديريكو بيرتالوت، مارابونتا، الأرجنتين – ريكاردو سالابيرت، STGSSP-Sindicato dos Trabalhadores des Grandes Superficies, Armazéns e Serviços de Portugal – جورجيلينا ماتاسيفيتشي، CsyP، ماباروتا، الأرجنتين – أليس غاتو، كليماكسيمو، البرتغال – جوليا كامارا، سوبفيرتا، البرازيل – لورا هورن – غابرييلا غالاردو، ديفيندبيو، جامعة أوتريخت – هاميل بواسان، تكوين ليون ليسويل، بلجيكا – جيرت سينايف، الجمعية الأوروبية لطب الكوارث والطوارئ، EUSDEM – ناستاسيا مارشال، بريغاديس د'أكسيونس بايسان، بلجيكا – فرانسيسكا فرانديز دروغيت – إنيسياتيفا إيكوسوسياليستا، تشيلي – ألفونس بيريز، مرصد الديون في العولمة، كاتالونيا – بيدرو إيفو باتيستا – رئيس مؤسسة شبكة الاستدامة ورئيس جمعية تيرازول البديلة، مؤسس مشارك لشبكة الاشتراكيين الايكولوجيين البرازيلية، البرازيل – ناهويل جرافانو، مارابونتا – تيبرا بارا فيفير / الأرجنتين – ماريانا ريسكالي، مؤسسة لاورو كامبوس وماريبل فرانكو، حركة اليسار الاشتراكي -حزب الحرية و الاشتراكية MES-PSOL، البرازيل – خوسيه كوريا ليتي، أستاذ جامعي وناشط في الجمعية العالمية للأمازون، حركة اليسار الاشتراكي -حزب الحرية و الاشتراكية MES-PSOL، البرازيل – سيسيل رينييه، ناشطة في شبكة Ades، باحثة في جامعة لوفان، بلجيكا – سيباستيان كينيس، ممثلو العصر الحالي، بلجيكا – فنسنت غاي، ناشط مناهض للعولمة – المنظمات: اليسار المناهض للرأسمالية، بلجيكا – ATTAC الأرجنتين – Alternative Viewpoint، الهند – مجموعة التضامن الإيكولوجية، سويسرا – التضامن، جنيف، سويسرا – Poder Popular، الأرجنتين – CADTM الشبكة الدولية لاغاء الديون غير المشروعة – مؤسسة ليون لوزوال للتكوين Formation Léon Lesoil، بلجيكا – LAB Sindikatua, Euskal Herria – Pueblos contra el Extractivismo – Marabunta، الأرجنتين – حزب مناهضو الرأسمالية ، إسبانيا – ELA Sindikatua، إيوسكال هيريا – الحزب الجديد المناهض للرأسمالية ، فرنسا – Ecologistas en Acción، إسبانيا – Sinistra Anticapitalista – ATTAC-France، إيطاليا – RISE (أيرلندا) – Ecosocialist Scotland – Gune Ekosozialista Euskal Herria – Sindicato ESK Euskal – Herria – Climaximo، البرتغال – Subverta، البرازيل – Observatori del Deute en la Globalització، كاتالونيا – Rede Brasileira de Ecossocialistas، البرازيل – MES-PSOL (Movimento Esquerda Socialista)، البرازيل – Insurgência-RD / (البرازيل) – Centelhas، البرازيل – Le Collectif Anticapitaliste Fribourg Suisse.

الثقافة والاستراتيجية: تروتسكي وكاوتسكي والحرية اللاسلطوية في الفن

صاغ تروتسكي والسرياليون تصورا لعلاقة الفن والثورة قريب بنحو مدهش من تصور "المرتد كاوتسكي".

بقلم، أوراز أيدين Uraz Aydın

أسفرت واحدة من أكثر اللقاءات الفكرية إثارة للدهشة، بل وحتى السحرية، في القرن العشرين، على الأرجح، عن صياغة النص الأكثر استراتيجية في هذا القرن في مجال الفن. في الواقع، غالبًا ما اكتست المناقشات حول الثقافة والفن طابعًا استراتيجيًا بالنسبة للحركة العمالية العالمية. ينبغي ألا تُفهم علاقة الماركسيين بالثقافة كمجرد فضول فكري إزاء الجمال، ولا كمحاولة نظرية لتطبيق المادية التاريخية على تاريخ الفن انطلاقاً من «الشذرات الثمينة »[1] التي خلفها ماركس وإنجلز. يجب بالأحرى فهمها بما هي جملة مشكلات ملموسة واجهتها الحركة العمالية بقدر تطورها، وكانت تستدعي حلولاً عملية. يمكن تتبع النقاشات حول الفن والثقافة في سياقات مختلفة من الصراع الطبقي: في مطبوعات الحركة الاشتراكية الديمقراطية الألمانية الواسعة الانتشار، عندما كان القصد تحديد نوع الأدب الواجب نشره في شكل حلقات قراءة للشغيلة، أو نوع المسرحيات الواجب عرضها في المسارح الشعبية؛ وفي مناقشات الأممية الثانية حول المسألة القومية، بصدد وجود ثقافة مشتركة من عدمه بين البروليتاريا والبرجوازية؛ أو بعد ثورة أكتوبر، في التساؤلات حول مستقبل المتاحف الموروثة عن القيصرية، مثلا[2]. يمكننا إذن الحديث عن توسط ذي طابع استراتيجي يمتد من بناء الوعي الطبقي - بهدف كسر الهيمنة الأيديولوجية للطبقة السائدة - إلى السياسات الثقافية التي ينتهجها الحزب أو الدولة البروليتارية، وصولاً إلى مكانة الفن في المخيال الشيوعي، إلى دور الإبداع والتجربة الجمالية في الانتقال من الفرد المجزأ إلى الكائن الكامل [«الإنسان الكامل» عند ماركس].

هنا بوجه الدقة، في حقل التفكير الاستراتيجي بصدد الثقافة، يندرج بيان من أجل فن ثوري مستقل

جبهة شعبية أدبية

هنا بوجه الدقة، في حقل التفكير الاستراتيجي بصدد الثقافة، يندرج بيان من أجل فن ثوري مستقل، الذي كُتب في العام 1938 بمناسبة لقاء ليون تروتسكي - أحد أبرز شخصيات الثورة الروسية - مع أندريه بريتون، مؤسس الحركة السريالية[3]. بينما كانت فئة بيروقراطية ذات امتيازات تتوطد في الاتحاد السوفيتي في سنوات 1920 في الحزب والدولة، كانت الأممية الثالثة تتحول بدورها إلى أداة لهذه البيروقراطية المهيمنة. بموجب سياسة «الحقبة الثالثة» التي جرى تبنيها عام 1928، اعتبرت قيادة الأممية أن الرأسمالية بلغت مرحلتها النهائية وأن المواجهة الحاسمة وشيكة، ما دفعها إلى بخس شأن الخطر الفاشي.

بعد رفض الأممية الثالثة أي تحالف مع الاشتراكية الديمقراطية - معتبرةً إياها «اشتراكية فاشية» - ولا سيما في ألمانيا، حيث كانت تمثل أكبر منظمة عمالية، تبنت اعتبارًا من 1934-1935 خطًا معاكسًا تمامًا، أي سياسة «الجبهة الشعبية» المناهضة للفاشية التي لم تشمل الاشتراكيين الديمقراطيين فقط، بل أيضاً الأحزاب البرجوازية «التقدمية» و«الديمقراطية» وغيرها. وفي هذا السياق، كان المؤتمر الدولي للكتاب من أجل الدفاع عن الثقافة، المنظم في عام 1935، يروم إنشاء «جبهة شعبية أدبية» تضم أيضًا المثقفين والكتاب البرجوازيين من الدول الرأسمالية الغربية. وكان هذا المؤتمر، المنعقد في باريس، يحمل أيضًا بصمة واضحة للمعاهدة المبرمة آنذاك بين فرنسا والاتحاد السوفيتي.

أوراز أيدين

أوراز أيدين هو واحد من مئات «جامعيون من أجل السلام» الذين تم إقالتهم بعدما وقعوا في العام 2016 على عريضة ضد أعمال العنف التي تمارسها الدولة ضد الشعب الكردي. ثم مُنع من معاودة عمله في الجامعة، يعمل حاليا كمترجم وصحفي مستقل. وهو عضو في عضو العمال التركي TIP وعضو المكتب التنفيذي للأممية الرابعة.

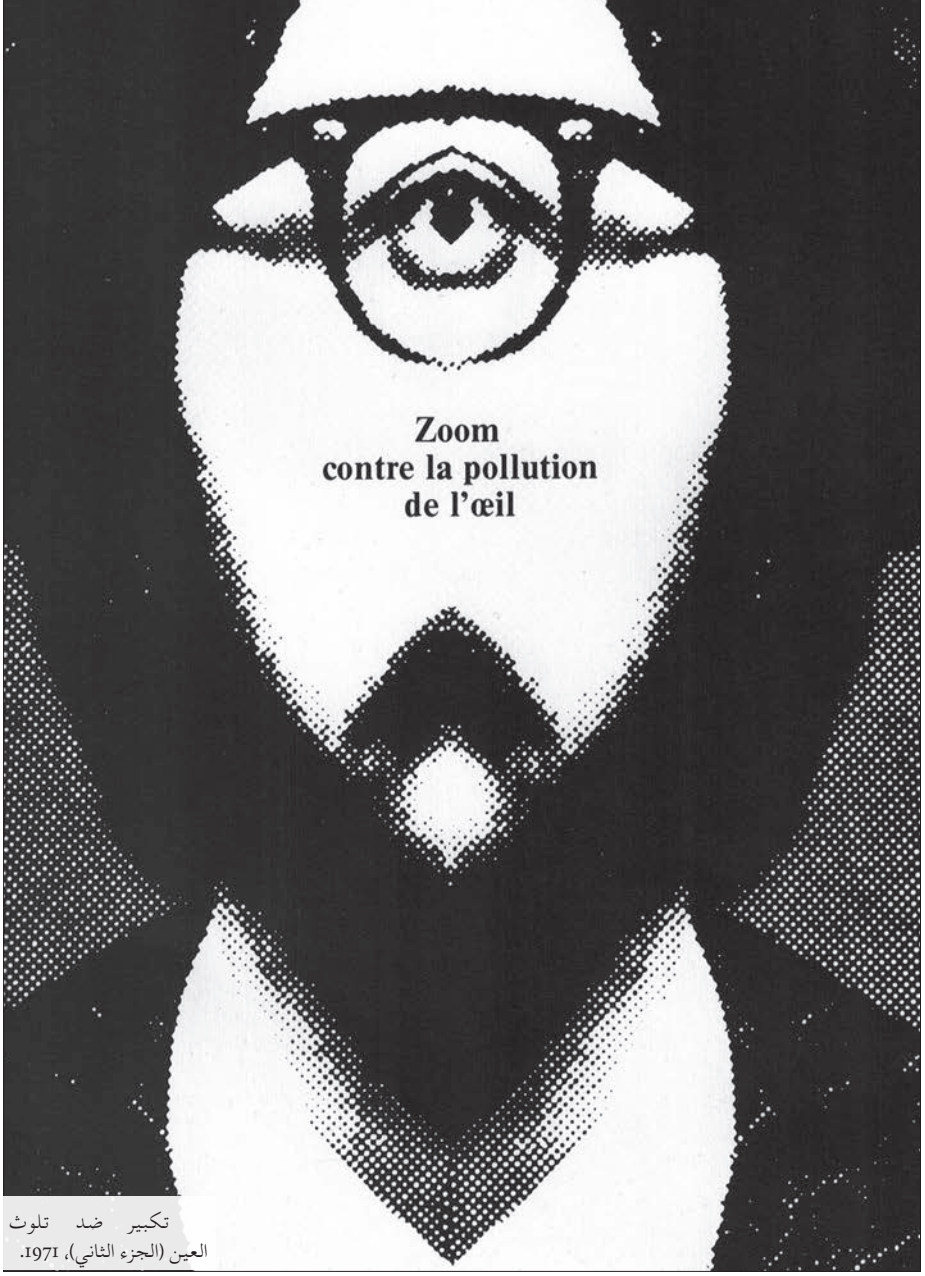

تكبير ضد تلوث العين (الجزء الثاني)، 1971.

ونتيجة لهذا المؤتمر، نظمت مجلة Das Wort، التي كان ينشرها باللغة الألمانية في الاتحاد السوفياتي لاجئون مناهضون للفاشية، نقاشا في 1938-1937 شاركت فيه شخصيات مثل جورج لوكاش وإرنست بلوخ وبرتولت بريشت وألفريد كوريلا وهانز آيسلر وبيلا بالاز[4]. وقد تجاوز هذا النقاش (الذي تخطى إطار هذه المجلة)، موضوعه الأولي المتمثل في التعبيرية، ليكتسب أفقا أوسع عندما تناول المواجهة بين الحداثة الجمالية والواقعية، حول الوظائف والدلالات المنسوبة إلى الفن.

أنصار الفن الثوريون

لن ندخل هنا في تفاصيل هذا البيان الذي وقعه «لأسباب تكتيكية» دييغو ريفيرا وأندريه بريتون، ولكنه مصاغ في الواقع من قبل مؤلف الحب المجنون ومؤلف الثورة الدائمة. وبرغم انعدام أي إشارة صريحة إلى المناقشات المذكورة، يجب فهم هذا النص في ضوئها، إذ أنه يدين الضغوط والتلاعبات والرقابات المفروضة على الإبداع الفني في ألمانيا النازية والاتحاد السوفيتي والدول الرأسمالية «الديمقراطية». لا ندري ما إن كان أندريه بريتون على علم بالنقاش الذي دار في Das Wort، لكن السرياليين شاركوا في مؤتمر الكتاب عام 1935. أعرب بريتون عن عدة اعتراضات على جدول أعمال المؤتمر، واقترح حتى توجها آخر. ومع ذلك مُنع، قبل أيام قليلة من انعقاد المؤتمر، من المشاركة فيه لضربه في الشارع إيليا إيرينبورغ - الكاتب العضو في الوفد السوفياتي - الذي كان قد وجه قبل ذلك إهانات جسيمة للسرياليين. لذلك، قرأ بول إيلوار نصه حيث شجب بشدة المعاهدة الفرنسية السوفياتية ومستتبعاتها السياسية والجمالية. ونُشر، في وقت لاحق، بيان مشترك، وقعه بوجه خاص دالي وإرنست وماغريت –نص شكل، في سياق السريالية، قطيعة واضحة مع الاتحاد السوفياتي. وصف أندريه بريتون لاحقًا الواقعية الاشتراكية بأنها «وسيلة إبادة أخلاقية»[5].

كان تروتسكي، برغم منفى شاق دام سنوات، يتابع عن كثب الحياة الأدبية والثقافية، فضلا عن مسؤولياته السياسية والتنظيمية الثقيلة. فقد كتب، بالإضافة إلى كتابه «الأدب والثورة» (1923)، نقدًا مهمًا لروايات؛ وكان في وقت كتابة البيان، على اتصال بمؤرخ الفن، الماركسي الأمريكي ماير شابيرو، وكذلك بمجلة «بارتيزان ريفيو» (Partisan Review[6]) الثقافية الصادرة في الولايات المتحدة. لذلك، يجب اعتبار هذا البيان ردا على المسائل التي أثيرت في السياق السياسي والثقافي الذي نشأ فيه أيضًا الجدل حول التعبيرية - وبشكل أكثر تحديدًا، محاولةً لوضع استراتيجية ثقافية للحركة الاشتراكية : على أي أسس، وانطلاقا من أي تصور جمالي، يمكن إقامة تحالفات؟

1 فرانسوا شامبارنو، الثورة والثورة المضادة الثقافيتان في الاتحاد السوفياتي – من لينين إلى جدانوف، منشورات أنثروبوس، 1975.

2 انظر: سوزان ميلر، «النقد الأدبي لدى الاشتراكية - الديمقراطية الألمانية في نهاية القرن الماضي»، الحركة الاجتماعية، يونيو 1967؛ كلودي فايّ، «مفهوم الثقافة في النظريات الماركسية حول المسألة القومية»، الإنسان والمجتمع، العدد 97، سنة 1990.

3 أرتورو شوارتز، بريتون/تروتسكي، سلسلة 18/10، 1977؛ جيرار روش، «لقاء النسر والأسد»، دفاتر ليون تروتسكي، مكتب معهد تروتسكي، العدد 25، مارس 1986؛ ميخائيل لوفي، «ليون تروتسكي وأندريه بريتون في ظل بركان بوبوكاتيبيتل»، نوفمبر 2018، مجلة اللا-رأسمالي، العدد 102؛ أوراز أيدن، «تروتسكي، بريتون وبيان كويواكان»، 25 يوليوز 2013، e-skop.

4 أدورنو، بنيامين، بريخت، بلوخ، لوكاش، الجماليات والسياسة، دار فيرسو، 2020؛ يوجين لون، الماركسية والحداثة: دراسة تاريخية حول لوكاتش وبريخت وبنيامين وأدورنو، مطبعة جامعة كاليفورنيا، 1984.

5 أندريه بريتون، حول «الواقعية الاشتراكية» بوصفها وسيلة للإبادة الأخلاقية، مفتاح الحقول، فايار، 1977.

6 جيرار روش، «Partisan Review . دفاتر ليون تروتسكي، العدد 19، سبتمبر 1984.

يعبر المقطع التالي بإيجاز عن الموقف الذي يدافع عنه البيان :

فالفن الحقيقي الذي لا يرضي بعزف تنوعات على النماذج الجاهزة بل يصر على التعبير عن الحاجات الداخلية للإنسان وللإنسانية في وقته – هذا الفن الحقيقي ليس بوسعه إلا أن يكون ثوريًا، وإلا أن يطمح إلى إعادة البناء الكاملة والراديكالية للمجتمع، ولو لمجرّد تحرير الإبداع الفكري من القيود التي تكبّله، وتمكين الإنسانية جمعاء من الارتقاء إلى آفاق لم يبلغها في الماضي سوى عباقرة معزولين(7).

وهكذا يتبنى البيان مبدأ « إباحة كل فن»، رافضًا بشدة أي انضباط خارجي مفروض على الخيال والإبداع – مثل الواقعية الاشتراكية التي أصبحت الفن الرسمي في الاتحاد السوفيتي. من المعروف أن مسودة بريتون الأولية تضمنت بندًا «باستثناء الثورة البروليتارية»، لكن تروتسكي أصر - عن حق - على حذفه، خوفًا من أن يتم استغلاله. جرى تحديد هدف النص على النحو التالي :

إيجاد أرضية مشتركة تجمع أنصار الفن الثوريين، لخدمة الثورة بأساليب الفن والدفاع عن حرية الفن نفسه ضد غاصبي الثورة. نحن مقتنعون تمامًا بأن التقاء ممثلي الاتجاهات الجمالية والفلسفية والسياسية المتباينة إلى حد ما على هذه الأرضية أمر ممكن.

وفي هذا السياق، تَرِدُ صيغة مدهشة – لأنها صادرة مباشرة عن قلم تروتسكي – تؤكد أنه «يمكن للماركسيين السير هنا جنبًا إلى جنب مع اللاسلطويين» [*]. يدعو النص إلى تأسيس اتحاد للفن الثوري المستقل. ولا شك أن المقصود هنا بناء جبهة ثورية – مناهضة للرأسمالية وللفاشية وللستالينية – تعارض مفهوم الجبهة الشعبية القائم على الدفاع عن «الثقافة» تحت هيمنة الاتحاد السوفيتي وبتحالف مع البرجوازية الليبرالية.

إنتاج الأزرار والإبداع الثقافي

هناك صيغة أخرى بارزة عن اللاسلطوية، لا تقل أهمية، جاءت مرة أخرى من قلم تروتسكي. لا يتعلق الأمر هنا بـ «المشي جنبًا إلى جنب»، بل بتصريح حول الهدف النهائي:

«إذا كان على الثورة أن تبني نظامًا اشتراكيًا ذا سيطرة مركزية من أجل التطوير الأفضل لقوى الإنتاج المادي، فيتوجب عليها منذ البداية، فيما يخصّ الإبداع الفكري، أن تُقيم وتُوَطد نظامًا لاسلطويا قائما على الحرية الفردية. فلا سلطة ولا إكراه، ولا لأدنى أثر للأوامر.!»

ومن اللافت أن يستخدم تروتسكي مثل هذا التعبير في تلك اللحظة بالذات، حيث كان ينتقد بشدة اللاسلطويين «الرسميين» في سياق الحرب الأهلية الإسبانية («لقد نجحت البيروقراطية اللاسلطوية في الاندماج مع المجتمع البرجوازي»)(8). من ناحية أخرى، من المعروف أن قائد الجيش الأحمر كان يولي أهمية كبيرة لاستقلالية الفن. ثمة في كتابه الأدب والثورة، الذي كُتب بعد الحرب الأهلية بفترة وجيزة، توتر بين الدفاع عن التدخل ضد الأنشطة الثقافية المُعادية للثورة والتخريبية، ورفض الفن المُسَخر («ليس الفن مجالًا يكون فيه الحزب مدعوا لإصدار أوامر»). ويتبنى، في نصوصه الأخيرة، لا سيما في البيان ومقال "الفن والثورة" الذي كتبه لمجلة Partisan Review، صيغًا أشد حسمًا، مدافعًا عن تصور للفن أكثر «تحرّرية» :» إن الفن، على غرار العُلوم، ليس بحاجة للأوامر وحسب، بل إنه، بحكم طبيعته نفسها، لا يستطيع تحملها. إن للإبداع الفني قوانينه الخاصة(9)».

لكن الأمر المثير للدهشة، أكثر من الإشارة الصريحة إلى اللاسلطوية لدى تروتسكي، هو أننا نجد هذه الفكرة تظهر، شبه حرفيا، في كتابات كارل كاوتسكي، أحد أبرز شخصيات الأممية الثانية حتى عام 1914. لم يسع كاوتسكي، على عكس شخصيات أخرى في الأممية مثل جورج بليخانوف أو فرانز مهرينغ، إلى تطبيق المادية التاريخية على المجال الثقافي (بل على المسألة الدينية). تعود كتاباته عن الفن بشكل أساسي إلى فترة شبابه، قبل أن يصبح ماركسيًا. ومع ذلك، في الجزء الثاني من كتابه الثورة الاجتماعية(10)، حيث يصف مجتمع ما بعد الثورة انطلاقًا من التحولات في علاقات الإنتاج، يختتم قسم «الإنتاج الفكري» بهذه الكلمات: «الشيوعية في الإنتاج المادي، واللاسلطوية في الإنتاج الفكري. هذا هو نوع النظام الاشتراكي المنبثق عن سيطرة البروليتاريا».

إذا تفحصنا النص عن كثب، نجد أن كاوتسكي يشدد على أن زيادة وقت الفراغ ستتيح إثراء النشاط الفكري. وهو يرفض أي هيمنة للدولة في هذا المجال ويؤكد أن البلديات والنقابات الحرة يجب أن تؤدي دوراً في تنشيط الحياة الثقافية. ويقول إنه بمجرد ضمان إعادة الإنتاج المادية للحياة، تغدو كمية قوة العمل والفائض المستثمر ين في الإبداع الفكري غير ذات أهمية. فعلى سبيل المثال، سيكون الإفراط في إنتاج الأزرار على حساب الخبز مشكلة، ولكن وجود عشرين دراسة منشورة عن الحضارة الآشورية مقابل عشر دراسات فقط عن علم النبات لن يكون له أي تأثير على وجود المجتمع. ما يقصده، إذن، كاوتسكي بـ«اللاسلطوية» في المجال الفني والفكري ليس حرية الخيال والإبداع، بل غياب التخطيط المركزي – من منظور كمي. وفي هذا المجال حيث «لا يطبق قانون القيمة»، «ليست الإدارة المركزية للإنتاج عديمة الفائدة فحسب، بل هي عبثية أيضاً».

الاقتصادوية والديالكتيك

في الواقع تنبع هذا المنهجية، الممكن وصفها بأنها اقتصادوية، من تصور وضعي بنحو عميق للتاريخ، موروث من علم الاجتماع التطوري ومن القراءة «العلمية» للماركسية التي أسهم

أندريه بريتون وليون تروتسكي في المكسيك يصطادان الأكسولوتلس في 15 يونيو 1938. في الخلفية، جان فان هيجينورت وفريدا كاهلو. فريتز باخ

كاوتسكي ذاته في ترسيخها داخل الأممية الثانية. ليست علاقات الإنتاج، بنظره، مجالًا للتناقضات حيث تتدخل السياسة والوعي ومبادرة الجماهير، بل هي جملة قوانين منتظمة يؤدي تطورها بنحو شبه آلي إلى الاشتراكية. حتى الصراع الطبقي نفسه يخضع لهذا المنطق الموضوعي: فهو يسرع أو يؤخر سيرورة مندرجة أصلا في البنية الاقتصادية. إن هكذا رؤية – خطية، وتراكمية، وموجهة نحو تقدم حتمي – تضعف البعد الديالكتيكي للماركسية، الذي يفترض على العكس من ذلك وجود قطيعات، وانقطاعات، وتدخلاً حاسماً من قبل ذات جماعية.

إن اختزال المادية التاريخية هذا إلى غائية اقتصادية هو بوجه الدقة ما يفسر مقدرة كاوتسكي على الحفاظ، حتى في تأملاته حول «الإنتاج» الفكري –وليس اختيار هذا المصطلح بريئًا في نظرنا – على فصل صارم بين المجال المادي – الذي يخضع، حسب رأيه، للتخطيط الاشتراكي – والمجال الفكري، الذي يُترك لشكل من أشكال «اللاسلطوية» التي لا ينظمه سوى الوفرة والوقت الحر. لكن هذه «الحرية» ذاتها تندرج في إطار مخطط قدري: كما يؤكد في نفس الكتاب، «مهما كانت أفكار البروليتاريا أو نظرياتها أو إراداتها، فإن منطق الوقائع الاقتصادية» هو الذي يحدد التنظيم المستقبلي للإنتاج الفكري. وبالتالي، فإن منزلة استقلالية الحياة الثقافية لا تنبع من الاقتناع بضرورة تحرير الإبداع أو الذاتية، بل من نزعة اقتصادوية تملي فيها تطوّرات القوى المنتِجة، حتى في المجال الثقافي، شكل المجتمع الآتي.

كان تروتسكي بالطبع قارئًا جادًا لكاوتسكي، على غرار كل ثوري ماركسي من جيله. فقبل أن يصبح مؤلف كتاب «أصول المسيحية» ذلك «المرتد» الشهير، كما وصفه لينين في كتيبه الصادر عام 1918، كان «المعلم، بمعنى الكلمة الحقيقي، الذي يعلّم طليعة البروليتاريا» وفقاً لليف دافيدوفيتش[11]. غير أنه، إن كان تروتسكي قد تلقى تكوينه في خضم نضالات ومناقشات الحركة العمالية الروسية والأممية الثانية، فإن مقدرته على التحليل ومنهجيته سرعان ما تميزت عن تلك السائدة في الأرثوذكسية الاقتصادوية، من كاوتسكي وبليخانوف إلى المناشفة. وكما يشير مايكل لووي، استوعب الشاب تروتسكي في وقت مبكر، بقراءته لكتابات الماركسي الهيغلي أنطونيو لابريولا، الخصم الشرس للمادية المبتذلة، تصور المادية التاريخية الذي سمح له بفهم التطور التاريخي بما هو حقل تناقضات مفتوحة، لا يقبل اختزاله إلى البنية التحتية الاقتصادية، حيث تؤدي السياسة والوعي والفعل دورًا حاسمًا[12]. ومن هنا تنبع بلا شك حساسيته الخاصة تجاه الاستقلالية (النسبية) للمجال الفكري-الجمالي-الأيديولوجي، ورفضه لأي غائية آلية، وأخيرًا، المقدرة النظرية التي جعلت من الممكن صياغة نظرية الثورة الدائمة، المرتبطة بمفهوم التطور المتفاوت والمركب.

بيد أنه، إلى جانب هذه الترتيبات المنهجية، لا بد أن ذاتية تروتسكي واهتمامه بالتمثلات الفنية وحساسيته تجاه الجماليات قد أثرت بالتأكيد في تصوره لضرورة حرية لاسلطوية تطلق العنان لخيال الإنسان ورغباته. ففي مقال يتناول قضايا الحياة اليومية في أعقاب ثورة أكتوبر، وبعد أن أبرز إسهام " الطوباوي الفرنسي الكبير فورييه" بشأن أهمية الجمع "بشكل عادل وعقلاني بين الغرائز والعواطف" في مجتمع المستقبل، كتب مؤسس الجيش الأحمر هذه السطور المُربكة: «إن الرغبة في التسلية واللهو والعبث والضحك هي رغبة مشروعة للطبيعة البشرية. ونحن قادرون بل وملزمون بأن نؤمن لها تلبية فنية أكثر فأكثر، وأن نجعل من التسلية، في الوقت نفسه، وسيلة تربية جماعية بلا إكراه ولا توجيه قسري [13]. «يؤدي الفن بما هو تعبير عن رغبة الإنسان «في الانسجام والكمال في الوجود»»، وبما هو أيضا "عمل احتجاجي على الواقع"، دورًا محوريا لدى تروتسكي في المجتمع الرأسمالي كما في المجتمع المتحرر من كل صنوف الاضطهاد. وهذا ما يجعله مسألة سياسية واستراتيجية وثورية بالغة الأهمية، لا سيما في "منتصف ليل القرن": « يتمثل الأساس الأيديولوجي للصراع بين الأممية الرابعة والأممية الثالثة في تناقض عميق ليس في تصور مهام الحزب وحده، بل وفي تصور الحياة المادية والأخلاقية للبشرية بوجه عام. إن الأزمة الحالية للثقافة هي قبل كل شيء أزمة القيادة الثورية»[14]

لا يبدو أن أيًا من المصادر المطلع عليها حتى الآن قد أبرز تماثل أقوال تروتسكي وأقوال كاوتسكي. ومع ذلك، فمن غير المرجح ألا يكون ليف دافيدوفيتش لم يقرأ مؤلف كاوتسكي هذا. وصحيح أيضًا أنه من غير المعتاد في التقاليد

الماركسية وصف تصور الإبداع الفني أو الثقافي بعد الثورة بأنه لاسلطوي. يمكننا إذن أن نفترض أن تروتسكي أعاد - بوعي أو بدونه - تأويل هذه الصيغ المستمدة من قراءاته لكاوتسكي، بما أدى إلى تغيير معناها: من عدم التخطيط إلى «نظام الحرية الفكرية» حيث الخيال والإبداع لا يخضعان إلا «لقوانينهما الخاصة». ■

8 ديسمبر 2025

---

7 تروتسكي وبريتون: من أجل فن ثوري مستقل، على الرابط: https://revsoc.me/arts-and-literature/byn-nhw-fn-thwry-hr-lywn-trwtsky/

8 ل. تروتسكي، «الفن الثوري والأممية الرابعة»، الأعمال، يونيو 1938.

9 ل. تروتسكي، «الفن والثورة. رسالة إلى Partisan Review».

10 كارل كاوتسكي، الثورة الاجتماعية، 1902.

11 ل. تروتسكي، «كارل كاوتسكي»، 8 نوفمبر 1938، الأعمال.

12 «ماركسية تروتسكي في كتاب نتائج وتوقعات: قطيعة حاسمة مع الماركسية الميكانيكية للأممية الثانية»، ميخائيل لوفي، 9 سبتمبر 2006، وجهة نظر أممية (International Viewpoint).

13 ل. تروتسكي، «الفودكا والكنيسة والسينما: الثورة والحياة اليومية»، على الرابط: https://www.almounadila.info/wp-content/uploads/2018/11/88%D8%84%D8%AB%D9%D8%A7%D9%84%D%88%D8%A7%D9%%B1%D8%A9-%D98A%D8%A7%D8%A9-%D8%A7%8%AD%D98%85%D9%88%D9%8A%D9%84%D9%%D9A%D8%A9.pdf الصفحتان 14-15.

14 ل. تروتسكي، «الفن والثورة...» انظر الملاحظة 9.

العبودية والرأسمالية: تاريخ ماركسي جديد

يعود المؤرخ وعضو هيئة تحرير مجلة Spectre، ديفيد ماكنالي (David McNally)، في كتابه إلى الروابط بين الرأسمالية والعبودية والعنصرية(1). يعمّق نقاشات قائمة، ويستخلص منها دروساً، بصفته مؤرخاً، ولكن أيضاً بصفته مناضلاً.

بقلم: أنوك إيساد Anouk Essyad

يحيل الكتاب إلى البحث الكلاسيكي الذي أجراه المؤرخ إريك ويليامز (2) (Eric Williams)، والذي حلل الطريقة التي أسهم بها الرق عبر المحيط الأطلسي في تأسيس الرأسمالية ذاتها. كان ويليامز، انطلاقاً من منظور التاريخ الاقتصادي، يبرز أن تصنيع المملكة المتحدة بات ممكناً بفضل ترحيل ملايين الأفارقة واستعبادهم، ما أثبت بنحو لا يقبل جدال الأساس الاستعماري والعنصري لهذا التراكم البدائي الأول للرأسمال(3). وبصدده، كتب ويليامز: «كان الرق أمراً عادياً في حياة الإنجليز في القرن الثامن عشر»(4).

يتبنى ديفيد ماكنالي حجة أن الرأسمالية برمتها تشكّلت بناءً على هذه العلاقة الاستعمارية والاستعبادية. استندت السيرورات الطويلة للتحويل الرأسمالي للبنيات الاجتماعية إلى الرق عبر المحيط الأطلسي. فالرأسمالية نتاج للعلاقات الاستعمارية والعنصرية والاستعبادية. لكن المساهمة الكبيرة لكتابه تكمن في تمديد هذا التحليل واستخلاص النتائج منه، بصفته مؤرخاً ومناضلاً.

أضفى تقليد ماركسي، رغم إقراره بالأهمية التاريخية على هذا التراكم البدائي الأول لرأس المال، طابعاً نسبياً على تأثير حقبة العبودية تلك على شكل العلاقات الاجتماعية الرأسمالية، معتبراً هذه الفترة الاستعبادية مجرد مقدمة لقيام الرأسمالية. كان أصحاب ها التقليد يرون، ضمن منظور خطي جداً ومشوه لتعاقب أنماط إنتاج غير قابلة للتعايش، أن العلاقات الاجتماعية الاستعبادية كانت ما قبل رأسمالية ولا علاقة لها بالرأسمالية الحديثة. يرفض ماكنالي هذه المواقف بكيفيات متعددة.

أولها، بتحليله طريقة اشتغال المَزارع، بين أن تنظيم العمل في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كان سابقاً لتنظيم العمل في المصانع اللاحقة، وكان مُقنَّنا بدقّة متناهية، ومضبوطا زمنيًا، وخاضعا للتحسين والحساب. ولاحظ بالخصوص، كيف كان يتسم بـ «توحيد المهام وفرض انضباط زمني صارم»(5). تولد المزرعة تجريداً لقوة عمل الأشخاص المستعبَدين. من المعروف مدى أهمية هذا التجريد للعمل في التحليل الماركسي لعلاقات الاستغلال والاستلاب الرأسمالية(6). فالمزارع، بعيداً عن الانتماء إلى عصر إقطاعي ما قبل رأسمالي ولّى، تشكّل نواة علاقات الاستغلال الحديثة.

تتعلق الحجة الثانية بطبقة المزارعين. كان هذا التقليد الماركسي نفسه يميل إلى اعتبارهم جزءاً من طبقة النبلاء الصغار المالكين للأراضي، وبالتالي جزءاً من حقبة إقطاعية من علاقات الإنتاج. يوضح ماكنالي أنه في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، كانت الطريقة التي تمارس بها طبقة المزارعين سلطتها – حركة رأس المال، وعلاقات الهيمنة غير الشخصية – هي نفس طريقة البرجوازية الحديثة والرأسمالية بحد ذاتها.

ليس فقط أن علاقات الرق لم تكن مجرد مقدمة للرأسمالية، بل إن هذه العلاقات الاجتماعية القائمة على الرق والاستعمار والعنصرية هي التي شكّلت الممارسات الرأسمالية التي ما زلنا نرثها حتى اليوم. فالرأسمالية، في طريقة اشتغالها ذاتها، هي في الأساس عنصرية. ولا يمكن فهمها بطريقة «محايدة» عرقياً، إذ إنها منظمة أساساً وفقاً لتقسيم طبقي استعماري وعرقي.

والنتيجة السياسية والاستراتيجية لذلك أنه لا يمكن العمل على توحيد جميع الطبقات الشعبية سياسياً بتجاهل هذا الانقسام العنصري. لذلك، يجب أن نعتبر أي عنف عنصري هجوماً على طبقتنا، وآليةً تضمن استمرار الرأسمالية. علينا مواصلة بناء جميع النضالات التي تعمل على إبطال عملي للعنف العنصري المترتب عن «التمييز في اللون»(7). ■

7 ديسمبر 2025

أنوك إيساد

طالبة دكتوراه في جامعة فريبورغ، ومناضلة في منظمة solidaritéS، وهي منظمة تتمتع بصفة مُراقب دائم في الأممية الرابعة، في سويسرا. وهي أيضا عضو في نقابة الخدمات العامة.

---

1 ديفيد ماكنالي، العبودية والرأسمالية: تاريخ ماركسي جديد، 2025، منشورات جامعة كاليفورنيا. قمت بترجمة الاقتباسات.

2 إريك ويليامز، الرأسمالية والعبودية، 2000.

3 انظر: «الفصل 33: النظرية الحديثة للاستعمار»، في: كارل ماركس، رأس المال، المجلد الأول، باريس، منشورات غاليمار، 2008.

4 ويليامز، المرجع نفسه.

5 ماكنالي، المرجع نفسه.

6 إدوارد ب. تومبسون، الزمن، انضباط العمل، والرأسمالية الصناعية، 1967، دار لا فابريك، 2004.

7 ويتني باتل-بابتيست Whitney Battle-Baptiste ، وبريت روسيرت Britt Rusert ، خطّ اللون عند و. إ. ب. دو بوا W.E.B. Du Bois: تمثيل أميركا السوداء عند منعطف القرن العشرين، 2019، دار B42.